الفصل الخامس

الماسونية بين المصريين

الخطوات الأولى ودور الأجانب:

لقد وصلت إلى أيدينا معلومات مختلفة حول بداية الماسونية فى أسلوبها الجديد – أو «النظرى» أو كما يقول العرب «الماسونية الرمزية» – فى مصر. فقد نشر أحد الكتاب السويسريين ويدعى جان نينه (Jahn Ninet)، كان يعيش فى مصر خلال منتصف القرن التاسع عشر الميلادى مقالة فى سنة ١٨٨٣م/ ١٣٠١هـ فى مجلة تصدر فى لندن باسم (The Nineteenth Century) (القرن التاسع عشر) ودون أن يذكر التاريخ الدقيق لبداية الماسونية فى مصر. اعتبر فى هذه المقالة أن بداية الماسونية فى مصر تعود إلى هؤلاء الهنود المسلمين الذين كانوا يدرسون فى جامعة الأزهر وطبقاً لقوله فإنهم هم الذين روجوا ونشروا الأفكار الماسونية بين الأزهريين(١). ويذكر مصدر آخر أن الماسونية قد خطت أولى خطواتها فى مصر فى سنة ١٧٤٧م/ ١١٦١هـ فى الإسكندرية(٢).

ويذكر جولد (Gould) الخبير فى تاريخ الماسونية خلال القرن التاسع عشر الميلادى أن الجميع على اعتقاد بأن الماسونية تأسست فى مصر مع محفل ممفيس (Memphis) فى سنة ١٧٩٨م/ ١٢١٣هـ على يد نابليون وضباط الجيش الفرنسى – مثل كليبر (Kleber) – الذين اشتركوا فى الحملة الفرنسية على مصر. ولكنه يعود ويصرح بأنه ليس هناك معلومات واضحة حول ظهور محفل فرنسى معتاد قبل سنة ١٨٠٢م/ ١٢١٧هـ حيث تم فى نفس السنة تأسيس محفل باسم «المحفل الخيرى» (Lage Bienfaisance) فى الإسكندرية من قبل المنظمة المركزية للماسونية (المشرق الفرنسى الأعظم)(٣).

ويقول جرجى زيدان أيضاً إن الماسونية ظهرت فى مصر لأول مرة فى نفس السنة التى وصلت فيها الحملة الفرنسية إليها فى ١٧٩٨م/ ١٢١٣هـ حيث قام عدد من «الأخوة الماسونيين» ومنهم الجنرال كليبر الذى كان يرافق نابليون فى حملته على مصر بتأسيس محفل ماسونى فى القاهرة فى شهر أغسطس ١٧٩٨م/ ١٢١٣هـ باسم محفل إيزيس (Isis وهو اسم لإحدى الآلهات فى مصر القديمة)، ويقال إن هدفهم من تأسيس هذا المحفل كان سياسياً لأن عدداً كبيراً من رؤساء وعلماء المدن المصرية دخلوا فى عضوية هذا المحفل. ولكن هذا المحفل توقف عن ممارسة نشاطه بعد رحيل نابليون عن مصر ومقتل الجنرال كليبر(٤). ويذكر باحث عراقى

أنه ليست هناك أية معلومات واضحة حول ما إذا كان أحد من المصريين قد انضم إلى محفل إيزيس أم لا(٥)، ولكن جرجى زيدان يذكر على الأقل شخصاً واحداً من المصريين الغير مسلمين يدعى (صموئيل حنس) كان عضواً فى محفل إيزيس وكان على رغبة شديدة فى نشر الماسونية، وقد سافر هو نفسه إلى فرنسا فى سنة ١٨١٤م/ ١٢٢٩هـ وأسس هناك بمساعدة بعض الأشخاص محفلاً ماسونياً مساوياً لمحفل ممفيس(٦).

وطبقاً لما كتبه جولد، فقد تم فى سنة ١٨٠٦م/ ١٢٢١هـ تأسس محفل آخر فى الإسكندرية باسم «محفل أصدقاء نابليون» (Loge des Amis de Napoleon Le Grand) من قبل «المحفل الفرنسى الأعظم»(٧).

وليس فى أيدينا معلومات كثيرة عن نشاط الماسونية فى هذا العصر ولكن نشرة يقال إنها قد وزعت ونشرت فى سنة ١٨٠٩م/ ١٢٢٤هـ تثبت أن الماسون قد أقاموا احتفالاً يتعلق بما أسموه «مساعدات نابليون للسلام»، وهناك أحاديث أيضا حول ظهور محافل ماسونية أخرى فى سنوات ١٨١١م/ ١٢٢٦هـ ١٨١٢م/ ١٢٢٧هـ ١٨١٥م/ ١٢٣٠هـ فى الإسكندرية والقاهرة ولكن هذه المحافل لم تحقق تقدماً أكثر من المحافل السابقة(٨).

وهكذا يبدو أن النشاط الماسونى لم يكن قد ظهر فى مصر بشكل ملحوظ قبل سنة ١٨٣٠م/ ١٢٤٦هـ لأن المعلومات المتوفرة لدينا لا تفيد شيئاً حول هذا الموضوع. ففى نفس هذه السنة قام جماعة من الماسون الإيطاليين بعد أن فشلت الثورة فى إيطاليا بالتوجه إلى مصر وأقاموا فى الإسكندرية التى كانت تعد فى ذلك الوقت مقراً لعدد كبير من الإيطاليين المقيمين فى مصر بإنشاء محفل ماسونى تابع للمحفل الاسكتلندي. ويذكر جرجى زيدان أن هذا الحفل التابع «لبعض الإخوة الإيطاليين» قد تأسس بشكل قانونى ولكنهم كانوا يمارسون نشاطهم بأسلوب غاية فى السرية خوفاً من ملاحقتهم أو القضاء عليهم. وشيئاً فشيئاً ازداد عدد الماسون وكان يرى فيما بينهم الكثيرون من العلماء المحليين، وفى سنة ١٨٣٨م/ ١٢٥٤هـ ظهر فى القاهرة محفل آخر كان تابعاً «للمجلس العالى الممفيس الفرنسى»(٩).

ويجب القول إن السرية التى تميزت بها المحافل الماسونية الإيطالية لم تكن موجودة فى المحافل الماسونية التابعة لفرنسا بعد أن استأنفت نشاطها فى مصر مرة أخرى فى سنة ١٨٤٥م/ ١٢٦١هـ وهذه الميزة ربما كانت بسبب أن الفرنسيين كانوا ذوى نفوذ ملحوظ فى بلاط محمد على باشا. وعلى أية حال وكما يقول جرجى زيدان ففى تلك السنة نفسها تم تأسيس محفل ماسونى تابع لـ «المشرق الفرنسى الأعظم» فى الإسكندرية باسم «الأهرام» انضم إليه عدد كبير من العلماء المصريين والأجانب كان من بينهم الأمير عبد الحليم باشا وابن الخديو محمد على باشا والأمير عبد القادر الجزائرى. وقد اشتهر هذا المحفل الماسونى فى مجال الأعمال الخيرية وجمع الأموال وإنفاقها لصالح الجميع. ولم يكن قد مضى على تأسيس هذا المحفل أكثر

من خمسة عشر عاماً حتى وصل عدد أعضائه فى سنة ١٨٦٠م/ ١٢٧٧هـ إلى ألف عضو وكان من العلماء المنتمين إليه زولا (Zola) الذى صار بعد ذلك «الأستاذ الأعظم» فى محافل أخرى عديدة(١٠).

وهنا تجب الإشارة إلى أنه رغم أن جرجى زيدان لا يذكر بوضوح فى أى سنة بالضبط انضم عبد الحليم باشا وعبد القادر الجزائرى لهذا المحفل الماسونى الذى تأسس فى سنة ١٨٤٥م/ ١٢٦١هـ إلا أننا يجب أن نقول إن عبد القادر الجزائرى كان فى تلك السنة يخوض غمار معارك ضارية مع الفرنسيين فى الجزائر أو الغرب مما يستبعد معه انضمامه إلى محفل ماسونى فرنسى مقره فى الإسكندرية بمصر. وسوف نتناول هذه النقطة بتوسع فى الفصل السابع من هذا الكتاب.

وعلى أية حال فإن الإيطاليين أيضاً فى نطاق التنسيق مع الفرنسيين قاموا فى سنة ١٨٤٩م/ ١٢٦٦هـ بتجديد تأسيس محفلهم الماسونى فى الإسكندرية ومن ذلك التاريخ بدأوا سلسلة من الدعاية الماسونية فى المعاهد العلمية الإيطالية بالقاهرة، وقاموا بإصدار نشرات متنوعة حول هذا الموضوع. وبعد ذلك تأسس عدد كبير من المحافل التابعة للفرنسيين والإيطاليين فى المدن المصرية مثل مدينة الإسكندرية والقاهرة وبورسعيد والسويس والإسماعيلية والمنصورة. وفى سنة ١٨٦٦م/ ١٢٨٣هـ ظهر فى القاهرة محفل ماسونى ألمانى أيضا تحت رعاية «محفل هامبورج الأعظم» (Grand Lodge of Hamborg).

وفى سنة ١٨٦٧م/ ١٢٨٤هـ تحرك الإنجليز على نطاق واسع وقاموا بنشر نشاطهم الماسونى فى مصر. وقد استطاع بورج (Borg) القنصل البريطانى فى مصر فى ذلك الوقت خلال مدة قصيرة أن يسحب حوالى ٣٠٠ عضو إلى طائفة الماسونية الإنجليزية كان الكثيرون منهم من العلماء المصريين. ولم يمض كثير حتى اختار الماسون التابعون لفرقة ممفيس عبد الحليم باشا ليكون «أستاذاً أعظم» لهم. وطوال سنوات ١٨٧٢: ١٨٧٨م/ ١٢٨٩: ١٢٩٥هـ اتحدت معظم المحافل الماسونية مع بعضها وأطلقت على نفسها اسم «المشرق المصرى الأعظم» (Grand Driemt of Egypt) واتخذت من مدينة القاهرة مقراً لها. بعد ذلك تركز النشاط الماسونى واستقر بشكل أكثر، وازداد عدد المحافل الماسونية أيضا، ويذكر جرجى زيدان فى كتابه أسماء أكثر من خمسين اسماً لمحافل مختلفة إنجليزية وفرنسية وإيطالية(١١). كما يذكر جولد عدداً من المحافل الماسونية التى كانت تمارس نشاطها فى مصر خلال النصف الثانى من القرن التاسع عشر الميلادى وتتبع «المحفل الإنجليزى الأعظم» (Grand Lodge of England) ويذكر مع كل منها الخصائص التى تميز بها(١٢).

والتنسيق الذى تم بين المحافل الماسونية فى مصر أضفى على هذه المنظمة قوة وأهمية ملحوظة دفعت خديوى مصر فى ذلك الوقت إسماعيل باشا (حكم فى الفترة ١٨٦٣: ١٨٧٩م/

١٢٨٠: ١٢٩٧هـ) لأن يمد يد الصداقة للماسون ويظهر حبه للماسونية وإعجابه بها ويعمل على تأييدها ومساندتها حتى أنه كما يقول الجنرال القنصل الإيطالى فى مصر انضم بنفسه إلى عضوية الماسونية(١٣).

وطبقاً لما كتبه الكثيرون من الخبراء فى تاريخ الماسونية فإن الماسون فى مصر كانوا بشكل عام يعتمدون على أهداف إنسانية وأخويه ولكن من ناحية أخرى فإن الماسون التابعين للمحافل الإيطالية كانوا فى سنوات ١٨٦٨: ١٨٧٠م/ ١٢٨٥: ١٢٨٧هـ متورطين فى أعمال وممارسات مناهضة للعائلة الملكية فى إيطاليا بل وكانوا أيضا متورطين فى جرائم سرية مثل الاغتيالات فى المدن المصرية وكانوا فى نفس الوقت يتمتعون بحماية المحافل الماسونية(١٤).

وكان لهذه المحافل الماسونية السرية نشرات دورية أيضا كان يتم توزيعها بأسلوب سرى. ويبدو أن الكثير من مثل هذه الكتابات كانت جديرة بالكتابة من وجهة نظر المصريين المؤيدين للنشاط السياسى وكانوا يتخذونها كنموذج حى ومثل أعلى يحتذى به. وعن طريق النشاط السياسى – السرى لنفس هذه المنظمات الماسونية الأجنبية تعرف المصريون على مسيرة الصراع السياسى الأوروبى وتعلموا الأساليب التنظيمية للجمعيات والمحافل السرية السياسية تلك الأساليب التى كانت تهمهم فى ذلك الوقت وما تلاه من عصور وأزمنة.

الماسونية، قاعدة للصراع السياسى: عبد الحليم باشا:

لقد كانت فترة حكم الخديوى إسماعيل فترة مضطربة ومليئة بالغليان والحركة بالنسبة للحركات القوُمية المصرية، مثلما كانت النيابيون الأتراك خلال العقد الأول من القرْن العشرين لم يكن هناك طريق عملى سوى الاستفادة من المحافل والجمعيات السرية. وكانت هذه الطبيعة السرية التى تميزت بها المحافل الماسونية هى التى استطاعت أن تقرب المصريين من تحقيق أهدافهم السياسية وذلك لأنه خلال فترة من حكم الخديوى إسماعيل كانت المنظمات الماسونية تعتبر المنظمة السرية الوحيدة الموجودة فى مصر. ويجب أن نضيف أيضا أن عدداً من العلماء كانوا يرغبون فى التعرف على النشاط السرى للماسونية من قبل التمحيص أو أنهم كانوا يعلقون آمالاً عليها فى أن تكون لهم بعضويتهم فى الماسونية علاقة بالشخصيات البارزة المتنفذة. وواضح أن هؤلاء الرجال كانوا ذوى خصائص أخلاقية ووجهات نظر مختلفة ولكن كان يوجد بينهم وجه مشترك؛ وهو أنهم جميعاً كانوا يرغبون فى إحداث حركة إصلاحية فى مصر. ولهذا السبب نرى أنهم قد توجهوا إلى المنظمات الماسونية التابعة لإيطاليا (فى المقام الأول) ولفرنسا وانجلترا (فى المقام الثانى والثالث) وقد بدأ هذا التوجه منذ سنة ١٨٦٨م/ ١٢٨٥هـ(١٥).

كان الأمير عبد الحليم باشا أحد الشخصيات المصرية البارزة التى ارتبط نشاطها السياسى بالماسونية. فقد كان هو الابن الوحيد الذى بقى خلال العقد السادس من القرن التاسع من مؤسسى مصر الحديثة محمد على باشا كما كان عم الخديوى إسماعيل خديوى مصر فى ذلك الوقت وكان

حليم باشا يعتبر الخليفة القانونى الوحيد للخديوى إسماعيل طبقاً لقانون الخلافة فى الإمبراطورية العثمانية الذى كان ينص على أن أكبر فرد سناً فى الأسرة الحاكمة هو الخليفة وولى العهد الرسمى لمصر، ولكن إسماعيل حاول جاهداً أن يدفع السلطان العثمانى الذى كان يعتبر مصر – على الأقل فى الظاهر – إحدى الولايات التابعة لإمبراطوريته لأن يغير فى سنة ١٨٦٦م/ ١٢٨٣هـ قانون ولاية العهد فى مصر وأن يمنح حق ولاية العهد لأكبر أبناء خديوى مصر سناً لكى يصبح نتيجة لذلك توفيق باشا ولياً للعهد وخليفة للخديوى إسماعيل على العرش.

ولهذا السبب قام عبد الحليم باشا بتنظيم سلسلة من الصراعات الطويلة للإضرار بالخديوى إسماعيل: فمن ناحية تورط فى النشاط السياسى والثورى ضد النظام الحاكم فى مصر الذى كان فى زيادة مستمرة، ومن ناحية أخرى وطد مركزه ومكانته فى سلسلة الرتب والمراكز الماسونية فى مصر أكثر عن ذى قبل حتى يستطيع عن طريق هذا السبيل أن يوجه ضربته إلى الخديوى إسماعيل. وفى هذا السبيل استغل تحول الماسون المصريين على أساس الاستقلال عن نفوذ الماسون خارج مصر(١٦). ويذكر جولد أن «المشرق المصرى الأعظم» والمحافل التابعة له استطاع أن يحقق تقدماً وتوفيقاً ملحوظاً تحت رئاسة حليم باشا من سنة ١٨٦٧م/ ١٢٨٤هـ حتى سنة ١٨٦٨م/ ١٢٨٥هـ ولكن لأن حليم باشا تم نفيه فى هذه السنة الأخيرة فإن «المشرق المصرى الأعظم» توقف عن ممارسة نشاطه هو والمحافل التابعة له. ولكن بعد ذلك بعدة سنوات وبالتحديد فى سنة ١٨٧٢م/ ١٢٨٩هـ استأنفت تلك المنظمة ممارساتها وأطلقت على نفسها اسم «المشرق الأعظم الوطنى المصرى» وأصبح زولا «أستاذه الأعظم»(١٧).

ومن الواضح أن نفى عبد الحليم باشا من قبل الخديوى إسماعيل كان لأن نشاطه ضد الجهاز الحاكم التابع للخديوى لم يكن مطلقا دون علم من الخديوى نفسه. فالتقارير التى كان يتلقاها الخديوى كانت تتهم حليم بأنه كان يخطط لقتل إسماعيل وأنه كان متورطاً إلى أبعد الحدود فى النشاط الثورى. ولهذا السبب قام الخديوى إسماعيل بنفى حليم باشا إلى استانبول فى نهاية سنة ١٨٦٨م/ ١٢٨٦هـ ولكن حليم باشا لم يكف عن محاربة الخديوى والعمل ضده واستطاع وهو فى تركيا وفرنسا أن يستمر على مؤامراته ضد الخديوى إسماعيل بمساعدة أصدقائه الماسون ذوى النفوذ فى مصر. وتذكر التقارير التى كتبها الجنرال قنصل إيطاليا فى مصر أن الخديوى إسماعيل كان على قناعة بأن حليم باشا كان يعمل ضده عن طريق الماسونيات الأجنبية، وطبقاً لتقرير نفس المسئول الإيطالي فإن الخديوى إسماعيل لأنه كان نفسه من الماسون كان يحاول أن يحبط نشاط حليم باشا ضده عن طريق نفوذه الماسونى(١٨).

سيد جمال الدين الأسد أبادى (الأفغانى) والماسونية:

للحديث عن النشاط الماسونى فى مصر خلال السبعينات من القرن التاسع عشر الميلادى فنحن مضطرون أيضاً لأن نتحدث عن واحد من أنشط وأشهر الشخصيات الفكرية والسياسية

فى العالم الإسلامى فى ذلك الوقت ونعنى به سيد جمال الدين الأسد أبادى المشهور بالأفغانى (١٨٣٨: ١٨٩٧م/ ١٢٥٤: ١٣١٤هـ). ويجب أن نقول هنا إن سيد جمال الدين – الذى أصبح واضحاً للجميع الآن أنه إيرانى الأصل مائة فى المائة(١٩). كان شخصية معقدة للغاية والمعلومات المؤكدة حوله من الصعوبة بمكان، فقد كان رجلاً يعيش فى حركة دائمة ولأسباب احتفظ بها كان يخفى الكثير من خصائص شخصيته بل وحتى اسمه الحقيقى، ولهذا السبب ترك حوله معلومات متضاربة وغير واضحة ومثيرة للأقاويل. فقد كانت جنسيته ومذهبه وتوجهاته السياسية الدولية وتبعيته التنظيمية من بين المسائل التى اهتم بها الباحثون المجتهدون، ومن هذا المنطلق ظهرت وجهات نظر وآراء مختلفة لصالحه أو ضده كما ظهرت حوله عشرات ومئات الكتاب والمقالات والرسائل فى تسع لغات على الأقل فى جميع أنحاء العالم(٢٠).

وكانت صلة جمال الدين بالمحافل الماسونية المختلفة واحدة من القضايا المثيرة للبحث حول شخصيته. والكثير من الكتب التى كتبت حول الماسونية تقرر أنه كان على صلة بالمحافل الماسونية المختلفة الإيطالية والفرنسية والإنجليزية واليونانية بل أن أغلب هذه الكتب اجتمعت على أنه لعب دوراً ملحوظاً فى نشر حركة الماسونية فى مصر(٢١).

والواضح أن الكتاب الذين كتبوا فى هذا الموضوع كانت لهم وجهات نظر متضاربة وكانوا يهدفون فى أبحاثهم إلى أهداف خاصة ولهذا السبب أشاد الكثير من هؤلاء الكتاب بالنشاط الماسونى لسيد جمال الدين(٢٢). بينما قام الكثيرون منهم أيضا بتوجيه النقد الشديد لشخصيته بسبب هذا النشاط(٢٣). وعلى أية حال فإن المناقشة والبحث حول صدق هذه الآراء المتضاربة من عدمه حول علاقة سيد جمال الدين بطائفة الماسون لا تدخل فى إطار بحثنا هذا. وما هو جدير بالبحث والكتابة فى هذه الأبحاث فى رأينا هو تلك المعلومات التى توفرت حول تفاصيل النشاط الماسونى لسيد جمال الدين أثناء فترة إقامته فى مصر، ولتحقيق هذا الهدف علينا أن نستفيد من الوثائق التى اكتشفت حديثاً فى هذا الموضوع وكذلك من التحليلات البحثية السليمة فسيد جمال الدين طوال السنوات الثمانى التى قضاها فى مصر من سنة ١٨٧١م/ ١٢٨٨هـ، ١٨٧٩م/ ١٢٩٧هـ. شارك فى الساحة السياسية لمصر بشكل عميق وجمع حوله عدداً كبيراً من المفكرين والكتاب والسياسيين والنشطاء السياسيين الذين أحبوه وعولوا كثيراً على أفكاره السياسية والاجتماعية والفلسفية وهو نفس الوقت الذى رأينا فيه سيد جمال الدين والكثيرين من أصدقائه النشطاء والعلماء فى طائفة الماسون. وهكذا يبدو أن علاقته بالمنظمات الماسونية قد ساعدته هو وأصدقاءه على أن يتمكنوا من تنفيذ برامجهم ومخططاتهم السياسية، وخاصة أن الكثيرين من أعضاء المحافل الماسونية كانوا من كبار رجال الدولة فى مصر.

والمحافل الماسونية التى كان سيد جمال الدين قد انضم إليها لم تظهر حتى الآن أى وثائق حوله. والأبحاث التى يقوم بها الباحثون فى هذا الموضوع تعتبر فى حد ذاتها ذات نقصان وعلى غير اكتمال حتى يتم نشر جميع الوثائق المتعلقة بهذا الموضوع. ولكن المستندات

والوثائق التى بقيت عن سيد جمال الدين وظلت محفوظة لسنوات لدى أسرة «أمين الضرب» الذى كان أحد رجال الدولة فى عهد القاجاريين وتم طبعها ونشرها منذ عدة سنوات تقرر أن علاقته بالماسون قد بدأت منذ عام ١٨٧٥م/ ١٢٩٢هـ. وكان سيد جمال الدين قد طلب بنفسه الانضمام إلى عضوية الماسونية فى خطاب له «كمدرس للعلوم الفلسفية»(٢٤) وباسم «جمال الدين الكابلى» وقد وجه هذا الخطاب إلى «أرباب المجمع المقدس الماسونى»(٢٥). وهذه الوثيقة هى التى تثبت بشكل واضح أن المذكور كانت له علاقة عمل مع المنظمات الماسونية الإيطالية والفرنسية والإنجليزية واليونانية فى القاهرة(٢٦). وتوجد بين أيدينا رسالة بتاريخ ٧ يناير ١٨٧٨م/ ١٢٩٥هـ(٢٧) من أحد المحافل الإنجليزية بالقاهرة وكان يسمى «محفل كوكب الشرق» وهذه الرسالة تثبت أن سيد جمال الدين قد انتخب بأغلبية الأصوات «كرئيس محترم لهذا المحفل» وذلك فى سنة ١٨٧٨م ونفس هذه الرسالة وجهت فيها الدعوة للمذكور للاشتراك فى جلستين من جلسات المحفل حيث حضر فى هذا المحفل بملابس سوداء ورابطة عنق وقفازات بيضاء (ملابسكم تكون سوداء، ورباط الرقبة والكفوف بيضاء) (٢٨).

وخلال السنوات الأخيرة من العقد السابع فى القرن التاسع عشر حل الاضطراب للساحة السياسية المصرية وأثار النظام المستبد للخديوى إسماعيل وتبعيته للأجانب غضب الشديد لدى الوطنيين المصريين ومحبى مصر. حيث كانت الشئون الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والإدارية فى مصر قد غرقت فى دوامة الفساد. وفى سنة ١٨٧٦م/ ١٢٩٣هـ أعلنت الخزانة المصرية إفلاسها، وعقب ذلك قامت الدول الأجنبية بإقراض مصر مبالغ ضخمة واستطاعت هذه الدول بذلك أن تضع يدها على النظامُ المالى فى مصر فى إطار خاص(٢٩).

وبعد ذلك بعامين اتخذ الخديوى إسماعيل خطوة أخرى لصالح الأجانب، إلى درجة أنه ضم إلى الوزارة المصرية وزيرين من الأجانب أحدهما إنجليزى والآخر فرنسى حتى يكون لهما حق الرقابة على مسيرة الأمور فى مصر. وكان عدد من الساسة المصريين البارزين مثل شريف باشا وعدد من نواب البرلمان قد بدأوا نشاطهم بهدف زيادة البرلمان المصرى وتحديد سلطات الخديوى وتقويضها. وقد جاء نشاط سيُد جمال الدين السياسى المناهض للنظام المصرى بسبب الأزمة السياسية التى كانت تعيشها مصر فى ذلك الوقت. فقد أقدم جمال الدين على إلقاء سلسلة من الخطب أمام الرأى العام دعى فيها الجماهير للثورة ضد النظام الحاكم المستبد فى مصر. وقد كتب سليم عنحورى الذى كان من الصحفيين وشاعراً وناقداً اجتماعياً ومن أتباع سيد جمال الدين(٣٠). أن هذه الخطب قد أيقظت الشعب المصرى وضاعفت من غضبه ضد النظام المصرى وكانت هذه الخطب فى الواقع هى الشرارات الأولى فى ثورة عرابى المسلحة فى سنوات ١٨٨٠: ١٨٨٢م/ ١٢٩٨: ١٣٠٠هـ.

وفى نفس الوقت كان سيد جمال الدين يتحدث دائما ضد الإنجليز الذين كانوا فى ذلك الوقت قد قبضوا بشكل عام على أزمة الأمور فى مصر وقد كتب مراسل جريدة التايمز اللندنية (The

Times) فى تاريخ ٣٠ أغسطس ١٨٧٩م/ ١٢٩٦هـ أن سيد جمال الدين لم يتحمل مطلقاً تدخل الأوروبيين فى شئون مصر وظل يرفع شعار «مصر للمصريين» حتى الوصول إلى نتيجة حاسمة(٣١). كما أنه أسس حزباً باسم «الحزب الوطنى الحر» وهذا الحزب هو الذى لعب دوراً اساسياً فى خلع الخديوى إسماعيل(٣٢).

وقد وصل سيد جمال الدين فى صراعه السياسى ضد نظام إسماعيل إلى درجة أنه كان يتحدث مع عرابى باشا بشكل سرى بشأن خلعه وذلك حسب قول الشيخ محمد عبده وأحمد عرابى نفسه كما أنه اقترح على الشيخ محمد عبده أنه يجب أن يتم اغتيال الخديوى إسماعيل أثناء عبوره اليومى لكوبرى قصر النيل وكان محمد عبده مؤيداً بشدة لهذا الاقتراح»(٣٣). ومن الواضح أن أشد الصراعات السياسية التى خاضها سيد جمال الدين قد تمت فى نفس الوقت الذى كان فيه عضوا فى الجمعيات الماسونية وهكذا يبدو أنه هو أيضا كان يستفيد من الطبيعة السرية لهذه الجميعات لممارسة نشاطه السياسى ضد النظام الحاكم فى مصر.

وقد جاء فى أغلب المصادر أن سيد جمال الدين كان يستفيد من محفل «كوكب الشرق» لممارسة نشاطه السياسى. ويعتبر محمد صبرى من الأشخاص الذين أطالوا البحث والكتابة حول ماسونية سيد جمال الدين. وهو يكتب أن سيد جمال الدين والجماعة من أتباعه قد انضموا أولاً إلى أحد المحافل الماسونية الإيطالية فى الإسكندرية. ولكنه انضم إلى العضوية فى محفل إنجليزى وذلك بتوجيه من نائب القنصل الإنجليزى فى ذلك الوقت رالف بورج (Ralph Borg)، وكان هذا المحفل يضم ٣٠٠ عضواً وكان الكثيرون من أعضائه قد تزعموا الحركة الوطنية فى مصر فى سنوات ١٢٩٥: ١٣٠٠هـ/ ١٨٧٨: ١٨٨٢م. وطبقا لما كتبه صبرى فإن الكثيرين من أعضاء هذا المحفل هم الذين خططوا لقتل الخديوى إسماعيل باشا فى محفل سرى آخر، ويضيف صبرى أيضا أن سيد جمال الدين استطاع أن يضم توفيق باشا عندما كان ولياً لعهد مصر إلى المحفل الماسونى بمراسم وتشريفات رسمية(٣٤).

انسحاب سيد جمال الدين من الماسونية وتأسيس محفل:

ولكن سيد جمال الدين بعد أن قضى مدة فى نشاطه الماسونى تم طرده من أحد المحافل الماسونية والذى ربما كان هو نفسه محفل «كوكب الشرق» وحول هذا الموضوع هناك أقوال وأقاويل كثير. فطبقاً لما قاله محمد المخزومى «أحد الأخوة» فإن هذا المحفل قد أعلن لسيد جمال الدين «أن الماسونى لا يجب أن يتدخل فى السياسة ويجب أن يظل بعيداً عن مكائد الحكومة وإجراءاتها» ورداً على هذا الكلام الثائر قال سيد جمال الدين: «إن أول شيء شجعنى على الاشتراك فى هذا المجمع للأحرار كان هو هذا العنوان والشعار العظيم الحرية، والمساواة والأخوة والذى يهدف لصالح عالم البشرية وأن وراء هذا الشعار تبذل الجهود للقضاء على الظلمة حتى يتم إقامة أساس العدالة الحقيقية ولقد أثبتت لى عزة نفس الماسون وأخلاقهم

الطاهرة واستحضارهم للموت فى مواجهة الظلمة، وهذا التعريف للماسون جعلنى فى حالة من الرضا عن دخولى لطائفة الماسونية. ولكننى مع شديد الأسف أرى أن الكبر والغرور وحب الرئاسة فى أمور الاجتماعات طبقاً للأهواء وتطويع الشرق لأوروبا والتهديد والوعيد هى الأعمال التى تبقى عليها أساس الماسون. أنهم يعملون لاعتبارات لا تخرج عن حيز ظلم الملوك والحكام، وفى مختلف الأمور يراعون قواعد أخذت أساساً عن الأجانب وهذه الأعمال تقود الناس إلى الظلام والجهالة رغم أنهم فى حاجة ماسة إلى النور والتنوير»(٣٥).

ويضيف المخزومى أن سيد جمال الدين بعد سلسلة من الخطب من هذا القبيل خرج من هذا المحفل(٣٦). ويجب أن نذكر أن المخزومي من محبى سيد جمال الدين ومؤيديه وكما أشرنا فى مكان(٣٧) أن أسلوب كتاب «خاطرات جمال الدين» لا يوجد به نقد بحثى بأسلوب مستحسن. فإنه لهذا السبب ليس من الواضح بالنسبة لنا إلى أى مدى تتسم آراؤه فى هذا الصدد بضيق الأفق وقصر الرؤية.

وقد كتب رشيد رضا نقلاً عن الشيخ محمد عبده أن السبب الحقيقى لخروج سيد جمال الدين من الماسونية هو أنه عندما كان «الأستاذ الأعظم» للماسونية الإنجليزية ويعنى به أمير ويلز يقوم بزيارة لمصر قامت المحافل الماسونية والماسون فى مصر بالترحيب به وخاطبه أحد الماسون بلقب «ولى العهد» وقد اعترض سيد جمال الدين وقال إن أحداً لا يسمح بمخاطبة أى عضو من الماسونية بهذا الأسلوب حتى ولو كان هذا العضو ولياً لعهد بريطانيا ولكن الكثيرين من أعضاء وزعماء الماسونية الآخرين أعربوا عن رفضهم لهذا الكلام الذى تحدث به سيد جمال الدين وبعد سلسلة من المناقشات خرج سيد جمال الدين ومعه جماعة من خواصه وأتباعه منهم الشيخ محمد عبده من عضوية الماسونية(٣٨).

ويقول قدسى زاده إنه لم يتضح حتى الآن فى أى تاريخ ومن أى محفل ماسونى خرج سيد جمال الدين. وإذا كان ما قاله رشيد رضا فى هذا الموضوع صحيحاً، فإننا يجب أن نعتبر أن تاريخ خروج سيد جمال الدين من محفل أو محافل الماسونية قد وقع فى سنة ١٨٧٥م/ ١٢٩٢هـ أو سنة ١٨٧٦م/ ١٢٩٣هـ وذلك لأن أمير ويلز كان يقوم بزيارته لمصر فى هذه السنوات(٣٩).س وقد ذكر الشيخ محمد عبده فى حديث له مع بلانت (Blant) حول هذا الموضوع جرى فى سنة ١٩٠٣م/ ١٣٢١هـ أن «الشيخ جمال الدين» قد التحق بأحد المحافل الماسونية التابعة لأوروبا ولكنه أدرك بسرعة أن هذه المنظمة تخلو من كونها ذات قيمة ولهذا السبب تخلص من عضويته فيها(٤٠).

ويوجد بين أيدينا تقرير أيضاً من القنصل الإنجليزى فى القاهرة بتاريخ ٣٠ أغسطس ١٨٧٩م/ ١٢٩٦هـ يعتبر فيه أن طرد سيد جمال الدين من محفل الماسونية كان بسبب عدم اعتقاده الواضح بالله الخالق(٤١).

وفى مقابل هذا التقرير للقنصل الإنجليزى، عثر على حديث آخر فحواه أن سيد جمال الدين يعتبر بعيداً عن الإلحاد. فعلى سبيل المثال قيل إنه إذا كان سيد جمال الدين ملحداً لما استطاع أن يستمر فى عضويته بأحد المنظمات الماسونية التى تعتبر أن الإيمان بخالق الدنيا شرط لعضويتها ويستمر فى هذه العضوية من سنة ١٨٧٥م/ ١٢٩٢هـ حتى سنة ١٨٧٩م/ ١٢٩٦هـ بل وحتى يصل إلى مرتبة الرئيس فى أحد المحافل الإنجليزية(٤٢).

وعلى أية حال فإن عدداً من الكتاب المقربين لسيد جمال الدين والمطلعين على أحداث حياته مثل محمد المخزومى وأديب إسحاق وسيد محمد رشيد رضا قد كتبوا أن سيد جمال الدين بعد انفصاله عن محفل الماسون الذى يقال إنه كان تابعاً «للمحفل الإنجليزى الأعظم» أسس بنفسه محفلاً وطنياً كان تابعاً لمحفل «الشرق الفرنسى الأعظم». وهذا المحفل استطاع فى فترة وجيزة أن يجذب لعضويته أكثر من ٣٠٠ شخص وكان من بينهم – بالإضافة لأتباع سيد جمال الدين المعهودين – عدد آخر من العلماء مثل شريف باشا وبطرس باشا غالى وعدد من الصحفيين والمفكرين ونواب البرلمان وضباط الجيش وحتى الزعماء الدينيين. وكان توفيق باشا ولى عهد مصر أيضا من أتباع هذا المحفل(٤٣).

ويضيف رشيد رضا حول سبب تأسيس هذا المحفل أن سيد جمال الدين كان يعلم التلاميذ الذين جمعهم حوله أصول الدين والفلسفة وكان يعتبر أنه من الضرورى دمج السياسة بالعلم ولكن كان الخوف من ألا يتركهم استبداد إسماعيل باشا أن يصلوا إلى مطالبهم وتحقيقها. ولهذا السبب قاموا بتأسيس محفل ماسونى واختاروا سيد جمال الدين لرئاسته وكانت الأحاديث والخطب فى هذا المحفل تدور حول حياة الأمم وموتها وإقامة الدول وسقوطها(٤٤).

وكان بعد ذلك أن اتسع نطاق نشاط سيد جمال الدين وأصدقائه الماسون وكانوا يتدخلون مباشرة فى جميع شئون البلاد. وكان أعضاء ذلك المحفل الوطنى قد انقسموا إلى عدة لجان كانت على صلة بالهيئات الحكومية كممثلين لهذا المحفل، وكان أحد أعضاء هذا المحفل مكلفاً بتوجيه إنذار إلى وزير الحربية بضرورة معاملة الضباط المصريين الذين يخدمون فى السودان معاملة عادلة. وكان هؤلاء الضباط المصريون مكلفين بالخدمة هناك لمدة أربع سنوات، بينما كان زملاؤهم الجراكسة (الجراكسة كانوا من الجنس القفقازى الذين هاجروا إلى مصر) يقضون فى السودان عامين فقط، كما اختير أيضا من المحفل الوطنى لسيد جمال الدين أعضاء آخرون لمطالبة وزراء العدل والمالية والعمل وباقى الوزراء فى الحكومة المصرية بإقرار المساواة والعدل بين موظفى الدولة(٤٥). وحول هذا الموضوع يضيف المخرومى: «إن كل أمر كان يحول إليه كان يتمه على أكمل وجه ودقة وكانت إجراءات الحكومة وأعمالها تنفذ من قبل المحفل (الماسونية) وبلهجة وأسلوب خاص يجعل جميع سامعيه فى عجب من هذه الخطب والأحاديث وتسرى الهمة واللغط فى جميع الإدارات والمحافل من جرأتهم»(٤٦).

حديث سيد جمال الدين عن سبب اعتزاله الماسونية:

هكذا يبدو أن سيد جمال الدين اضطر مرتين لأن يعتزل المحفل أو المحافل الماسونية حيث يتحدث بنفسه بوضوح حول المرة الثانية ويعدد أسبابها ويقول: إن محبته وصداقته للخديوى الجديد توفيق باشا أصبحت سبباً لعداء الماسون المؤيدين لعبد الحليم باشا له وكان هذا نفسه قريناً لاعتزاله الحفل الماسونى والتهم التى ألصقت به عن إلحاده.

وربما يكون مفيداً فى هذا الموضوع أن نفتح الحديث بشكل أكثر: فنحن نعلم أن الخديوى إسماعيل قد تم عزله عن حكم مصر عقب الصراع والتدخلات المتوالية لحكومتى إنجلترا وفرنسا وذلك فى منتصف سنة ١٨٧٩م/ ١٢٩٦هـ وجلس مكانه على العرش ابنه توفيق باشا. ويجب أن نذكر أيضاً أن توفيق باشا نفسه كان يعتبر من الماسون ومن الأصدقاء المقربين لسيد جمال الدين والمؤيدين والمحبين لأفكاره. ولكن عقب سلسلة من الأسباب والعوامل لا يتسع المجال هنا لذكرها تم نفى سيد جمال الدين من مصر إلى الهند فى شهر أغسطس ١٨٧٩م/ ١٢٩٦هـ. والجدير بالذكر أن حكومة توفيق باشا أعلنت أسباب نفى جلال الدين على هذا النحو: «كان يعد رئيساً لجمعية سرية للشباب المتهور الأرعن الذين كانت أهدافهم تتمثل فى «فساد الدين والدنيا»(٤٧). وعلى أية حال فإن سيد جمال الدين توجه للسفر إلى لندن وباريس بعد التوقف فترة فى مدن هندية مختلفة. وبينما كانت السفينة التى تقله متوقفة فى قناة السويس فى ديسمبر ١٨٨٢م/ ١٣٠٠هـ قام بكتابة رسائل مختلفة لعدد من كبار الشخصيات فى مصر شكا فيها من سوء معاملة الشرطة فى القاهرة له واتهامه بالإلحاد. فقد كتب إلى أحد أصدقائه المقربين الذى ربما كان أحد أعضاء نفس المحفل الماسونى الذى أسسه جمال الدين باللغة العربية:

«إنك لتعلم حقيقة مجلسنا وتأسيسه واسباب جره إلى الفساد ولم يكن هناك شيء خفياً عليك مطلقاً وكنت أنت على علم بأسرارى بشكل شامل، ولهذا السبب كيف تبدى صبرا تجاه الاتهام الكاذب الذى وجهه إلى ضابط البوليس عثمان باشا ولا تدافع عن الحق وتنصره؟ فقد قال إننى كنت رئيسا لمجمع قام على أساس إفساد الدين والدنيا إن هذا لافتراء وكذب وصدق الخديوى كلامه دون أن يفكر فى الموضوع وأصدر أوامره بنفى بأسوأ أسلوب كان»(٤٨).

كما توجد بين أيدينا أنها رسالة على مستوى عال كتبها سيد جمال الدين فى نفس السفينة التى توقفت فى قناة السويس وجهها إلى رياض باشا الذى خاطبه فيها بلقب «مولاى» وتوجد المسودة العربية لهذه الرسالة بين الأشياء التى تبقت عن سيد جمال الدين تزيح الستار عن الكثير من العلاقات والنشاط السياسى فى ذلك العصر. وخلاصة جزء من هذه الرسالة ما يلى: «إن توفيق باشا كان على محبة صادقة لى قبل أن يصبح خديوي وأنا بدورى أيضا كنت أعتبر أصدقاء توفيق باشا أصدقاء لى وأعداءه أعدائى»(٤٩). وعندما كان عبد الحليم باشا زعيما لمجلس الماسونية فى القاهرة كان تحت زعامته عدد من الماسون الأوروبيين وذيولهم مثل

بقايا المذاهب القديمة وبقايا السريان الذين دخلوا فى المسيحية وكانوا يقومون بمساندته وتأييده ولما كان حليم باشا عدواً لتوفيق وكان يعتبره فى الحقيقة مغتصباً لمكانة كان يدعيها لنفسه لم أستطع أنا بسبب صداقتى مع الخديوى توفيق أن أتعاون معهم ويكون هناك تنسيق بيننا ولهذا السبب قمت أنا وأصدقاء آخرين من مؤيدي أفكارى بالخروج من المحفل الماسونى بينما كنا فى حالة غرور بصداقتنا مع الخديوى توفيق كما قمت أنا بالتخلص من رئاسة المحفل أيضا. وقد ذهب الماسون الأوروبيون ومؤيدوهم إلى قنصل فرنسا وحذروه من أنه إذا لم يصبح حليم باشا خديوي على مصر فإن المصريين ثم سوف يثورون. ولقد ذهبت أنا وعدد من أصدقائى أيضا إلى قنصل فرنسا محبة لتوفيق باشا ولإفشال جهود مؤيدي حليم باشا وقلنا إن ما قاله أصدقاء حليم باشا فى شأن توفيق ما هو إلا محض كذب وافتراء.

«ولقد قام أخوتى السابقون من الماسون الذين اعتبروني بعد ذلك غريباً عنهم وقطعوا الأمل عن تولية حليم باشا لمنصب خديوى مصر باتهامى بالإلحاد والاشتراكية بل وحتى اتهمونى بالتخطيط لقتل توفيق باشا. وبعد أن أصبح توفيق باشا خديوي مصر، توجه عدد من الماسون المؤيدين لحليم باشا إليه وحكوا هذه الحكاية بشأنى أمامه انتقاماً منى. وعلمت من ذلك أن أعدائى أقوياء وعددهم كثير. ولهذا السبب قمت بتوضيح وشرح آرائهم ومطالبهم وأهدافهم الحقيقية فى الجرائد المصرية التى تصدر باللغات العربية والأوروبية، وعلى الرغم من أن مؤيدي حليم باشا كانوا يختلفون عن الماسون إلا أنهم كانوا يساعدونهم وكان أحدهم شخصاً يدعى عثمان غالب (ذكره فى الرسالة باسم عثمان مغلوب) وهو الذى قام بطردى من مصر بأسلوب غاية فى اللاإنسانية والوحشية، وكانت جميع مطاريقات البوليس وتحرشاته معى وليدة النشاط العدائى لمؤيدي حليم باشا ضدي»(٥٠).

علاقة السيد جمال الدين بالدين:

مهما كان سبب طرد سيد جمال الدين أو خروجه من محفل أو المحافل الماسونية فإنه يستبعد تماماً أن يكون له علاقة بما اتهم به من إلحاد. يجب أن نقول إن المذكور قد اتهم من قبل الكثيرين من أعدائه بالإلحاد فى مواضع عدة. ففى سنة ١٨٧٠م/ ١٢٨٧هـ أورد فى خطبة له ألقاها فى يوم افتتاح المؤسسة الجديدة للتعليم العالى فى استانبول – دار الفنون – مقارنة بين الفلسفة والنبوة وبين الفلاسفة والأنبياء، وهناك تقارير مختلفة حول حقيقة ما قاله سيد جمال الدين كتبها كتاب معاصرين له مثل خليل فوزى والشيخ محمد عبده وجرجى زيدان(٥١) ولكن ما حدث بوضوح هو أن صحيفة تصدر باللغة الفارسية فى استانبول تسمى «اختر» كتبت ضمن مقالة لها بعنوان «شيطان فى رداء إنسان» أن سيد جمال الدين سمى نفسه باسم الشيخ الأفغانى عند دخوله إلى استانبول و»أظهر الزندقة والإلحاد على رؤوس الأشهاد وحاشا لله أن تحدث عن النبوة وكأنها صفة الفلسفة. ولم تترك له الحكومة العلية العثمانية الفرصة لإضلال الناس عن طريق نظرته الضيقة وضيق أفقه ولهذا السبب تم طرده ونفيه من دار الخلافة استانبول»(٥٢).

ومن المواضع الأخرى التى اتهم فيها سيد جمال الدين بالإلحاد ذلك الرد الذى وجهه لمقالة ارنست رينان (Ernest Renan) المفكر الفرنسى فى القرن التاسع عشر ففى هذا الرد الذى يقال إن سيد جمال الدين كتبه بالعربية ولا يوجد أصله فى أيدينا وتوجد فقط نسخته الفرنسية التى صدرت فى سنة ١٨٨٣م/ ١٣٠١هـ فى مجلة المناظرات والمباحثات الفرنسية (Journal Des Pélats) جاء أن «الحقيقة هى أن الإسلام حاول أن يخنق العلم»(٥٣). وفى رأينا وخاصة إذا وضعنا فى الاعتبار أن صحة هذه الأقاويل كانت موضع شك من قبل كثير من الكتاب مثل حميد الله حيدر آبادى كما تعرضت آراء وكلمات سيد جمال الدين حول هذا الموضوع لتحاليل وبحوث مختلفة من قبل باحثين مثل حميد عنايت وكريم مجتهدى(٥٤) فإن مثل هذه الكلمات والعبارات التى صدرت عن سيد جمال الدين لا تجعل منه شخصا ملحداً. فإن ما بقى عن سيد جمال الدين كميراث للعالم الإسلامى يثبت أن سيد جمال الدين قد صبغ جميع نشاطه السياسى والاجتماعى طوال حياته فى إطار المعتقدات والقيم الدينية الإسلامية وخصائص الثقافة الإسلامية، والواضح أن استنتاجات السيدة نيكى كدى فى هذا الموضوع تتسم بالجهالة الشديدة»(٥٥).

وعلى أى حال فإذا كان سيد جمال الدين قد توقف عن ممارسة نشاطه الماسونى فى القاهرة فى عام ١٨٧٩م/ ١٢٩٧هـ فإنه لم يتوقف عن متابعته لهذا النوع من النشاط. وهكذا يبدو أنه كان قد ارتبط بعلاقة خاصة بالحركة الماسونية. وتثبت الرسالة المطولة التى كان قد كتبها الشيخ محمد عبده فى تاريخ الخامس من جمادي الأولى سنة ١٣٠٠هـ/ ١٨٨٣م أن سيد جمال الدين قد كتب كتاباً بخط يده أسمّاه «كتاب الماسون» وتركه عند الشيخ محمد عبده وعندما قامت السلطات الحكومية التى يسميها الشيخ محمد عبده «أعوان القبطية» باقتحام بيته ثم قاموا بسجنه أخذوا معهم هذا الكتاب أيضا»(٥٦). وربما لهذا السبب فقد هذا الكتاب ولم يستفد منه الباحثون. كما أن سيد جمال الدين عندما ذهب إلى باريس فى سنة ١٨٨٣م/ ١٣٠١هـ لم يكف أيضا عن الاتصال بالماسونية فهناك رسالة باللغة الفرنسية كتبها أحد المنحمسين للماسونية الفرنسية فى سنة ١٨٨٤م/ ١٣٠١هـ ويدعى لانجاسا (Langgaessez) تثبت أن سيد جمال الدين كان يريد أن يلتحق بعضوية أحد المحافل الماسونية فى باريس باسم «الشيخ أفغانى» ولهذا السبب تم استدعاؤه من قبل كاتب هذه الرسالة لمباحثات كثيرة مطولة(٥٧).

الشيخ محمد عبده والماسونية:

كما نعلم فإن سيد جمال الدين أثناء تواجده فى مصر الذى امتد لعدة سنوات وجد فيها تلاميذ له ومؤيدين ومحبين كثيرين كانوا مغرمين بشدة بأفكاره ووجهات نظره. وكان الكثيرون منهم فى رفقته خلال ممارسته لنشاطه الماسونى، وكان من بينهم رجال مشهورون أمثال الشيخ محمد عبده وعبد السلام المويلحى وجيمز (يعقوب) صنوع وأديب إسحق وإبراهيم اللقانى(٥٨) وكان أشهرهم جميعاً الشيخ محمد عبده، فقد كان مفكراً قديراً وكاتباً نشطاً وعالماً مبرزاً، ويعتبر من

القادة البارزين للأفكار التجديدية الإسلامية فى العالم العربى. وقد وصلت شخصيته الدينية إلى درجة أنه شغل منصب مفتى الديار المصرية فى سنة ١٨٩٩م/ ١٣١٧هـ وهو أعلى منصب دينى فى مصر فى ذلك الوقت(٥٩). وقد ظل محمد عبده لسنوات يشيد بأستاذه جمال الدين على الرغم من أن اعتقاده بأستاذه هذا تغير بعد ذلك بشكل تدريجي فبعد عودته من منفاه البعيد فى سنة ١٨٨٨م/ ١٣٠٦هـ كان يوجه انتقادته لأعمال أستاذه هذا(٦٠). وعلى أى حال فإن الشيخ محمد عبده التحق بالمحفل الماسونى (كوكب الشرق) الذى كان تابعاً للإنجليز وطبقاً لما كتبه عثمان أمين فإن هذا المحفل كان يوصى بضرورة المشورة وتبادل الرأى بين الأفراد المتطلعين على ما يحدث من حقائق سياسية خلف الكواليس وكان يقيم علاقة تعاون وتضامن فيما بينهم(٦١). ولأن محمد عبده كان على صلة بحركة عرابى باشا بشكل ما فقد تعرض بعد فشل هذه الحركة أمام القوت الإنجليزية للسجن والمحاكمة ثم النفى بعد ذلك خارج البلاد. وقد قام الكسندر برادلى (Alexander M. Broardley) الذى كان واحداً من الماسون وألف كتاباً حول تاريخ الماسونية فى مالطه. وكانت السلطات الإنجليزية الحاكمة قد اختارته للدفاع عن محمد عبده وآخرين(٦٢) وتولى الدفاع عن محمد عبده أمام المحكمة فى سنة ١٨٨٢م/ ١٣٠٠هـ وقد قال فى هذه المحكمة التى كان النظام الاستعمارى الإنجليزى فى مصر قد أقامها لمحاكمة محمد عبده وآخرين قال فى معرض دفاعه عن محمد عبده «لقد كان الشيخ محمد عبده أستاذاً متحمساً لمحفل ماسونى»(٦٣)، وطبقا لما كتبه شاهين مكاريوس فإن الشيخ محمد عبده كان على علاقة أيضا بالمحفل الماسونى التابع «للمشرق الفرنسى الأعظم» والذى تأسس فى بيروت تأسس سنة ١٨٦٩م/ ١٢٨٦هـ تحت اسم «محفل لبنان» وكان يترددعلى ذلك المحفل هو وباقى أصدقاء السيد جمال الدين طوال حركة عرابى باشا، حتى أنه - أى الشيخ محمد عبده - حصل هناك على درجة الماسونية(٦٤).

وقد تحدث رشيد رضا تلميذ محمد عبده وصديقه المخلص فى مقالة كتبها فى شهر أغسطس سنة ١٩٠٥م/ ١٣٢٣هـ - أى بعد موت محمد عبده بشهر واحد – حول كيفية انضمام أستاذه لطائفة الماسونية وخروجه منها. يذكر فيها أن تورط محمد عبده وسيد جمال الدين فى أنشطة الماسونية كان من أجل أهداف ومطالب سياسية واجتماعية، وكان يعتبر خطوة فى سبيل تكامل تربية وتعليم محمد عبده. فقد استطاع عبده عن طريق علاقته بالماسونية أن يوطد صلته مع توفيق باشا وباقى زعماء مصر وأن يبحث معهم المشاكل والقضايا المتعلقة بالحكومة المصرية وأن يصبح مطلعاً على مساوئها وأوجه القصور والسلبية فيها وأن يحاول القضاء على تلك المساوئ ويعوض أوجه القصور وفى النهاية يصبح مرشداً فى الطريق الذى سلكه قبل ثورة عرابى باشا وبعدها. ولكن عبده كان قد تخلص من الماسونية قبل ذلك بمدة طويلة وبعد ذلك فى سنة ١٨٨٨م/ ١٣٠٦هـ عندما عاد من منفاه إلى مصر وقام الماسون بدعوته إلى محافلهم لم يلبّ هذه الدعوة ولم يقبل النيشان الذى كانوا قد أرسلوه إليه. وعندما سأل رشيد رضا محمد

عبده عن حقيقة الماسونية، أجاب محمد عبده إن هذه المؤسسة قد ظهرت لكى تقف فى مواجهة سطوة واستبداد الملوك والبابوات ورجال الدين الذين كانوا يحاربون العلم والحرية وكان هذا نفسه فى حد ذاته عملاً عظيماً وكان يعد أحد الأسباب والدوافع التى ساهمت فى تقدم أوروبا. ولكن أولئك الملوك والباباوات أصبحوا الآن هم حفظة الماسونية وحراسها وصاروا يحافظون عليها مثل الآثار القديمة والعاديات وينظرون إليها على انها محافل أدبية هدفها إقرار التعارف وعلاقة الصداقة بين الناس. ولهذا السبب انتهى العهد المفيد والنافع للماسونية ولم تعد تخطو أية خطوات فى إطار السبب الحقيقى لوجودها ويضيف رشيد رضا:

«لقد قال لى الشيخ محمد عبده نفسه إنه طلب ذات مرة من أحد محافظى بيروت أن يغلق محفل الماسونية ولكنه أدرك أن هذا المحافظ يخدع الحكومة العثمانية (فى هذا الموضوع) وبتوجيه من كثير من الحكومات الأوروبية وكان الخوف قد تملك هذا المحافظ وراح يظن أن القضاء على الماسونية كان يخرج عن نطاق سلطته وقدرته»(٦٥).

ويرى رشيد رضا أن المكانة العليا والنفوذ الذى حققه محمد عبده فى الجهاز الحكومى بمصر له علاقة بعضويته فى طائفة الماسون، ولكنه يرى أن الكثيرين من علماء الأزهر كانوا يظنون أن الماسونية هى التى مهدت الطريق أمام تدرج محمد عبده فى المناصب الحكومية ولهذا فإن عدداً كبيراً منهم التحقوا بالماسونية. وفى النهاية يصل رشيد رضا إلى نتيجة وهى أنه لم يكن من بين من انضموا إلى الماسونية من يهدف إلى خدمة الشعب والوطن سوى أتباع السيد جمال الدين. والوطن سوى أتباع سيد جمال الدين(٦٦)، وهناك رأى آخر حول هذا الموضوع من مصطفى صبرى يدل على نفور وندم الشيخ محمد عبده على التحاقه بالماسونية حيث يذكر مصطفى صبرى أن الشيخ بخيت مفتى الديار المصرية قد دار حوار بينه وبين محمد عبده حول الماسونية فى الأيام الأخيرة من حياة الشيخ محمد عبده، ولكن الشيخ محمد عبده اشتد به الغضب لهذا الحوار وأبعد الشيخ بخيت وأعرب عن أسفه وندمه على علاقته بالماسونية(٦٧).

أتباع السيد جمال الدين الآخرين والماسونية:

كان جيمز (يعقوب) صنوع (المتوفى فى ١٩١٢م/ ١٣٣٠هـ) أحد أصدقاء سيد جمال الدين وتلامذته البارزين. وكان يعقوب صنوع هذا قد انضم إلى الماسونية فى سنة ١٨٧٥م/ ١٢٩٢هـ بتشجيع من أستاذه(٦٨). وكان صنوع صحفيا وكاتباً مسرحياً ناقداً مشهوراً وطبقاً لما قال طرازى: لا يمكن الظن أن هناك كتاب بين العرب أو العجم فى ذلك الوقت لم يكن يعرف اسم الشيخ أبو نظارة المصرى»(٦٩).

كان صنوع يهودياً مصرياً وكان يصدر عدة صحف استخدم فى عدد منها لقب أبو نظارة، ولهذا السبب كان يسمى أيضا «الشيخ أبو نظارة» وحول أهميته فى تاريخ مصر يرى أحد

العلماء اليهود أنه كان له دور غير مباشر فى ثورة عرابى بخطبه وكتاباته ومسرحياته الفكاهية التى كان يكتبها ويمثلها بنفسه على المسرح(٧٠).

وقد اعتبر الشيخ أبو نظارة فى صحيفته «أبو نظارة زرقاء» التى كان يصدرها فى باريس أن سيد جمال الدين رجلاً يقضى حياته فى سبيل الإنسانية ويحب المصريين. وكانت هذه الجريدة هى نفس الجريدة التى نشرت بشكل عملى أفكار سيد جمال الدين(٧١). وكان أبو نظارة يقوم بنشر مقالات فكاهية – نقدية ضد الخديوى إسماعيل بمساعدة سيد جمال الدين ومحمد عبده(٧٢) وكان أثناء كتابته للجريدة فى باريس يؤيد بشدة أن يصبح عبد الحليم باشا الماسونى خديوى على مصر(٧٣).

عددنا الآن اثنين من أصدقاء سيد جمال الدين كان أحدهما مسلماً والآخر يهودى، ومن الواضح أنه كان بين أصدقائه الماسون من يتبعون الدين المسيحى أيضا والنموذج الواضح لهؤلاء الأصدقاء تمثل فى أديب إسحاق (ت ١٨٨٥م/ ١٣٠٣هـ) وهو مسيحى سورى أسس صحيفة مصر الفتاة(٧٤)، وصحيفة مصر، وصحيفة التجارة، وصحيفة مصر القاهرة. وكان يكتب فى صحيفة ثمرات الفؤاد وصحيفة التقدم وصحيفة المصباح. وكان قد رحل إلى مصر وتتلمذ على يدي سيد جمال الدين وقرأ عليه (الفلسفة الأدبية والفلسفة العقلية والمنطق) (٧٥). وقد أسس أديب إسحق الصحيفة السياسية «مصر» بتشجيع من سيد جمال الدين فى سنة ١٨٧٧م/ ١٢٩٤هـ وكان هو والشيخ محمد عبده من كتاب هذه الصحيفة. وكان عبد السلام المويلحى وإبراهيم اللقانى من الأصدقاء الماسون لسيد جمال الدين كما كانا من محبيه والمغرمين به. كان المويلحى من النواب النشطين فى البرلمان المصرى وطبقا لما كتبه مراسل صحيفة التايمز (The Times) الزعيم الحزبى «للحزب الوطنى» وكان سيد جمال الدين يؤيده ويسانده(٧٧).

كما كان إبراهيم اللقانى أيضا من الكتاب العظام المبرزين وقد لعب دوراً بارزاً فى ساحة الأدب والسياسة المصرية. والرسالة القيمة التى كتبها هذا التلميذ الماسونى لأستاذه سيد جمال الدين تقوم دليلاً على العلاقة الوثيقة التى كانت تربطهما والاحترام الشديد الذى كان يحمله إبراهيم اللقانى لسيد جمال الدين.

ففى هذه الرسالة يتحدث إبراهيم اللقانى حول الأحداث التى حدثت لأصدقاء وأتباع سيد جمال الدين بعد نفيه من مصر، كما يتحدث عن نشاط جماعته التى كان مشغولاً بها. ومن بين ما قاله فى هذه الرسالة أنه قام بتشكيل جماعة وساعده فى ذلك عائلات «سُرسُق وقطه وزغيب ومخلع» وهى عائلات مسيحية سورية. وقد قاموا بدعوة المسلمين أيضا لهذه الجماعة، وأسس جريدة ناطقة باللغة العربية واللغة الفرنسية وكان هدفهم من ذلك الدعوة لآراء سيد جمال الدين وتعاليمه(٧٨).

ويعتبر شاهين مكاريوس أن إبراهيم اللقانى كان أيضا من بين أصدقاء سيد جمال الدين

الذين كانوا على علاقة بالماسون فى بيروت فى «محفل لبنان» وكانوا يشتركون فى اجتماعاتهم أيضا»(٧٩).

الماسونية وثورة عرابى باشا:

يشكل هؤلاء الأشخاص القليلون نموذجاً صغيراً من العلماء العرب الذين كانت لهم مكانة فى طائفة الماسون، وهناك كتاب آخرون مثل سليم النقاش وكثيرين من ضباط الجيش مثل لطيف سالم وسعيد نصر، والباشاوات التابعين للخديوي مثل محمد شريف باشا وسليمان باشا عباده وبطرس باشا غالى ويعتبرون أيضا من الأشخاص الذين انضموا إلى طائفة الماسون كما أن الكثيرين من الأشخاص الذين كانوا يجاهدون مع حركة عرابى الوطنية لإقرار الحرية والحكومة النيابية والحد من تدخل الأجانب فى شئون مصر الداخلية كانوا على صلة بالمحافل الماسونية أيضا. والمثال الواضح لمثل هؤلاء الرجال تمثل فى سيد جمال الدين الأسد آبادى والشيخ محمد عبده وقد أشرنا من قبل إلى محادثاتهما السرية مع عرابى باشا. وفيما يتعلق بلطيف سالم وسعيد نصر اللذين قاما ضد خديوى مصر فى ذلك الوقت فى المراحل الأولى من ثورة الجيش المصرى فقد ورد أنهما قاما بقواتهما العسكرية فى المراحل العسكرية بمهاجمة الوزراء الأجانب الذين كانوا انضموا إلى الوزارة فى مصر فى أواخر عهد حكومة الخديوى إسماعيل(٨٠). والعقيد عرابى باشا زعيم ثورة الجيش المصرى وكذلك الشيخ محمد عبده كلاهما يشهد بأن لطيف سالم الذى كان مشتركا فى الثورة ضد الخديوى إسماعيل اعترف بنفسه بذلك، وتم سجنه إلا أنه تم إطلاق سراحه من السجن بمساعدة الماسون الذين كان واحداً من طائفتهم طائفتهم(٨١).

وكتب محمد صبرى أنه فى نفس اليوم الذى تم فيه القبض على الضباط عقد الماسون جلسة برئاسة سيد جمال الدين وقاموا بإرسال برقيات لكل من إسماعيل باشا وأمير ويلز فى إنجلترا طالبوا فيها بإطلاق سراح الضباط، وقد أكد لطفى السيد فى كتابه «قصة حياتى» أيضا مسألة تدخل سيد جمال الدين والماسون لصالح الضباط المسجونين(٨٢).

ومن ناحية أخرى كانت الحركة الوطنية المصرية تزداد رسوخاً يوماً بعد يوم وتجذب إليها جماهير الشعب، وكان هناك عدد كبير من الجماعات والأفراد المناهضين للنظام الحاكم أيضا على صلة بهذه الحركة «والحزب الوطنى» الذى قال عنه عثمان أمين أن نوابه قد تشكلت فى الأساس من الماسون(٨٣) قام أيضا ضد الخديوي توفيق ووزيره مصطفى رياض باشا. ويقول ألكسندر بربادلى أنه على الرغم من أن أحداً من زعماء الحزب الوطنى لم يكن منضماً إلى طائفة الأخوة الماسونية فإن عدداً كبيراً من الأعضاء الأقل درجة فى هذا الحزب وكذلك الذين يعملون تحت قيادة زعمائه كانوا يعتبرون من أكثر أعضاء الماسونية المتحمسين نشاطاً(٨٤).

كان أحد الأعضاء البارزين فى الحزب الوطنى وهو محمد شريف باشا من الماسون، كما

كان وزيراً أسبق وهو الذى عارض بشدة البرامج الإدارية لمصطفى رياض باشا. وكان الكثير من باقى أعضاء هذا الحزب من مؤيدى حليم باشا وكانوا يعملون على إيصاله إلى منصب خديوى مصر. وقد كتب الأستاذ كدورى (Kedourie) أن هذه الجماعة من الحزب الوطنى على علاقة بضباط جيش عرابى باشا الذين قاموا رسمياً فى مواجهة نظام توفيق(٨٥). ولكن قوات الإنجليز تدخلت رسمياً لسحق هذه الثورة الوطنية وتمكنت من إخمادها وقامت بقتل الكثيرين من الثوار وقامت بنفى عرابى باشا إلى سيلان بعد ذلك أصبحت انجلترا الحاكم المطلق والمباشر على مصر(٨٦).

وربما لا يخلو من فائدة أن نذكر أن عدداً من ماسون مصر ومنهم مؤيدى إقرار حكومة حليم باشا وحليم باشا نفسه لم يكونوا لم يكونوا بعيدين عن حركة عرابى باشا.

ولكن هذه العلاقات والصلات تؤد إلى أن تتبدل الحركة الوطنية إلى حركة ماسونية.

فى مسيرة هذه الأحداث كان الذى انتصر فى الحقيقة هم الماسون الحاكمون فى انجلترا فقد انتصروا بسحق عرابى باشا ورفقاء سلاحه فى مصر، لأنه كما ذكرنا من قبل(٨٧) فإن جارنت ولزلى قائد القوات الإنجليزية التى قضت على حركة عرابى كان ماسونيا وهو الذى كان يعتبر – كما صرح هو بنفسه – أن جميع ما حققه من نجاح كان عن طريق تبعيته للماسونية والمساعدات التى قدمها له أصدقاؤه الماسون. ومنذ ذلك الوقت أيضا لم يعد الماسون الحاكمون فى انجلترا يعانون من قلة نفوذهم وسطوتهم فى مصر والسودان. فبعد عرابى باشا بعام واحد توجه إلى مصر الجنرال كيتشنر (Kitchner Haratis Herbert) الذى كان جنرالاً ماسونياً فى الجيش الإنجليزى. وبعد عدة سنوات من الحروب الدموية تمكن من سحق ثورة المهدى السودانى ضد الإنجليز فى سنة ١٨٩٨م/ ١٣١٦هـ وأصبح هو الحاكم العام للسودان فى سنة ١٨٩٩م/ ١٣١٧هـ(٨٨). وفى نفس العام الذى تولى فيه كيتشنر الحكم فى الخرطوم قام المحفل الإنجليزى الأعظم بتأسيس المحفل الإقليمى الأعظم لمصر والسودان (District Grand Lodge for Egypt & The Sudan) وتولى رئاسته الجنرال كيتشنر بنفسه(٨٩).

وفى رأينا أن وجهة نظر حميد عنايت هذه حول ثورة عرابى تظهر تاريخياً: «أن ثورة عرابى باشا كانت نتيجة لاتصال وتزامن ثلاثة أحداث سياسية فى مصر: أولها عدم رضا إلى الضباط المصريين وسخطهم إزاء حصولهم على مرتبات ومزايا أقل بكثير بالقياس إلى الضباط الغير مصريين وخاصة الجراكسة والأتراك. وثانيها: كفاح لمطالبين بالحياة النيابية والأحرار المصريين الذين كانوا يناضلون ضد سياسة الخديوى وكانوا يطالبون بإقرار نظام نيابى وتشكيل مجلس قومى وطنى. والثالث أن إحساس الرأى العام لجماهير شعب مصر ضد التدخلات التى يقوم بها المستعمرون الإنجليز والفرنسيون قد وضعت بسرعة قيادة هذه الأحداث والمجريات فى يد عرابى باشا»(٩٠).

ولقد أقر عرابى واعترف بعد هزيمة من القوات الإنجليزية وأثناء محاكمته فى المحكمة أقر بأنه طوال ثورته التى قام بها ضد النظام كان يتلقى رسائل من حليم باشا الماسونى، لكنه أضاف أنه كان كثيراً ما يتلقى مثل هذا النوع من الرسائل من أشخاص كثيرين غيره. ويذكر فى مذكراته أيضا أنه كانت لديه أمانى وطنية ولم يكن مطلقا فى خدمة أهداف ومطالب حليم باشا أو الإنجليز أو الفرنسيين أو أى أحد آخر(٩١). ويعتقد خبراء التاريخ المصرى أن صدق عرابى باشا فى هذا الموضوع لا تشوبه أية شائبة على الإطلاق.

انتشار الماسونية وانتهائها:

على أى حال، بما أن الماسونية بشكل عام تعتبر أسلوباً جديداً وليدة الحضارة البرجوازية الغربية المزدوجة فإن كل مكان وصل إليه نفوذ الغرب أو استقر الحكم المباشر لحكومة غربية فيه كانت المنظمات الماسونية تنتشر بنفسها بهدف الاستغلال والانهزامية لصالح البرجوازية الغربية. ومن الواضح أن مصر بعد أن دخلت فى دائرة المستعمرات الإنجليزية منذ عام ١٨٨٢م/ ١٣٠٠هـ انتشرت أنشطة الماسونية فيها بهدف تحقيق أهداف الهيمنة الحاكمة فى انجلترا. وفى ذلك الوقت كانت الشخصية الأولى فى البلاد ونعنى به الخديوى توفيق نفسه واحداً من الماسون وقد اختاره «المحفل الأكبر الوطنى المصرى» الذى يسمى فى المكاتبات الإنجليزية (Lodge of Egypt National Grand) كأستاذ أعظم فى سنة ١٨٨٧م/ ١٣٠٥هـ. وكانت شبكة المحافل التابعة لهذه المنظمة الماسونية المصرية المركزية والتى كانت بدورها تابعة «للمحفل الإنجليزى الأعظم» تنتشر وتتوسع يوما بعد يوم. وقد كتب أحد كبار الماسون ويدعى جون كاولز (John Coules) قام بزيارة لمصر حول أسلوب أنشطة المحافل التابعة لانجلترا كتب يقول: إن هذه المحافل يدور الحوار فيها وتلقى الخطب باللغات العربية والتركية واليونانية والفرنسية والإيطالية والألمانية والإنجليزية ويتم فيها إتباع تقاليد ورسوم وآداب «المحفل الإنجليزى الأعظم» وكان يتم فتح القرآن والكتاب المقدس لدى اليهود والمسيحيين فى هذه المحافل كما كان المسلمون واليهود والمسيحيون يستطيعون القسم بوضع أيديهم على كتبهم المقدسة. وكان الإيمان بوجود الخالق الأعظم خالق الكون من شروط عضويتها، كما كان الحديث حول الدين والمذهب والسياسة ممنوعاً فيها(٩٢).

وعلى أى حال إن رئاسة أو «أستاذية» الماسونية كان منصباً خاوياً بالنسبة للخديوى توفيق ولكن هذا المنصب نفسه كان يقدم مساعدة عظيمة لتحقيق أهداف الماسونية فى مصر. وفى سنة ١٨٩٠م/ ١٣٠٨هـ اعتزل توفيق منصب رئاسة الماسونية واختير بدلاً منه إدريس راغب باشا لرئاسة «المحفل الأكبر الوطنى المصرى» وأصبح توفيق باشا عضواً فخرياً مدى الحياة فى هذا الحفل وكان راغب باشا هذا ابناً لأحد رؤساء الوزارات السابقين فى مصر وكان رجلاً على قدر كبير من الثروة والغنى ومعظم ثروته التى ورثها عن أبيه أنفقها فى سبيل تحقيق أهداف الماسونية وقد طالت فترة رئاسته فى الماسونية لأكثر من ثلاثين عاماً وفى عهده انتشر

نشاط الماسونية فى مصر وازداد رسوخا كما زيدت أعداد المحافل الماسونية فيها. حتى أنه سمى محفلين باسمه هو شخصياً أحدهما باسم «محفل إدريس» والآخر باسم «محفل راغب» والتقرير الذى كتبه لوثر السفير الإنجليزى فى استانبول بتاريخ ٢٩ مايو ١٩١٠م (جمادى الأول سنة ١٣٢٨هـ) واستفدنا منه فى الفصل الخامس بالماسونية بين الأتراك – يثبت أن الماسونية فى مصر فى ذلك الوقت كانت تحاول أن تدخل الحركات الماسونية فى ولايات الإمبراطورية العثمانية الأخرى تحت نفوذها ويذكر لوثر أن راغب باشا أصبح أيضا مؤسساً ورئيساً عاماً لعدد من المحافل فى مصر وسوريا وفلسطين ولبنان، كما يذكر ان شخصا باسم محمد عرفى باشا قام بتأسيس عدة محافل ماسونية فى مصر والقدس وجنوب سوريه وكان يتمنى أن يضع محافل استانبول أيضا فى نظام ماسونيته ولهذا الغرض ذهب إلى استانبول فى ربيع سنة ١٩٠٩م/ ١٣٢٧هـ ولكن الانقلاب الذى حدث هناك فى إبريل من نفس العام دفعه لأن يهرب من استانبول خوفا على حياته(٩٣).

ويبدو أن ما ورد فى المجلد السادس والثلاثين من مجلة المقتطف سنة ١٩١٠م/ ١٣٢٨هـ بشأن تأسيس محفل «نيازى» الماسونى من قبل راغب باشا ومأدبة العشاء التى أقيمت فى فندق كونتنينتال (Continental) بالقاهرة والخطب اللامعة التى ألقيت بها بلغات أربع – والتى أشرنا إليها فى فصل سابق – كانت خطوة فى سبيل نشر وتوسيع نطاق نفوذ الماسونية فى مصر برئاسة راغب.

كان للماسون فى مصر مجلة باسم «اللطائف» كان مدير تحريرها منذ سنة ١٨٨٦م/ ١٣٠٤هـ هو أحد اللبنانيين الماسون ومن مؤيدى راغب باشا المتحمسين وهو شاهين مكاريوس. وقد كتب شاهين مكاريوس عدة كتب أيضا حول الماسونية، وكانت اللطائف مستمرة فى طباعتها وصدورها حتى وفاة مكاريوس فى سنة ١٩١٠م/ ١٣٢٨هـ ومنذ سنة ١٩١٥م/ ١٣٣٤هـ.

بدأ ابنه اسكندر مكاريوس فى إصدار مجلة اللطائف المصورة واستمر فى إصدارها لمدة خمسة عشر عاماً، وفى سنة ١٩٤٢م/ ١٣٢١هـ أصدر الماسون فى مصر مجلة أخرى باسم الأيام وكان يدير تحريرها حسين شفيق، والمقالات التى كانت تظهر فى هذه المجلة تثبت استمرار نشاط الماسونية المكثف فى مصر وخاصة تلك التى تتحدث عن «جمهرة كبيرة من الإخوان». وبشكل عام وكما يذكر على الوردى فإن الماسونية فى مصر كانت على خلاف الدول العربية الأخرى موضعا لاحترام الشعب إلى حد ما. فالكثيرون من الأمراء والباشوات والزعماء الدينيين المصريين عرفوا طريقهم إلى طائفة الماسون. وكان سعد زغلول ماسونياً وظل ماسونياً حتى نهاية حياته دون أن يؤثر هذا على زعامته الوطنية والشعبية أدنى تأثير(٩٦).

وربما كان هذا هو ما يجعلنا نرى اسم أستاذ مشهور وكاتب لامع مثل الشيخ محمد أبى زهرة فى طائفة الماسون أيضا. فبعد أن ألغى جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية المصرى الماسونية

فى عام ١٩٦٤م/ ١٣٤٣هـ وأعلن عدم شرعيتها نشرت مجلة القوات المسلحة حواراً مع الأستاذ أبى زهرة وجه إليه فيه السؤال التالى: «كيف ولماذا انضممتم إلى الماسونية؟: فأجاب الشيخ أبو زهرة أن تلميذاً سأله ذات يوم ما هى الماسونية؟ ولكنه لم يكن لديه إجابة على هذا السؤال ولأن الشيخ نفسه لم يكن يحصل على إجابة صحيحة ومقنعة على هذا السؤال من أحد فقد قرر أن يدخل بنفسه إلى طائفة الماسونية ولهذا السبب انضم إلى الماسونية متوكلاً على الله. وقد وجهت المجلة المذكورة سؤالاً آخر للشيخ أبى زهرة عن الذى استفاده وفهمه بعد تجربته مع الماسونية؟ فأجاب الشيخ: منذ ٤٠٠ سنة مضت والماسونية قاعدة لدفاع اليهود عن مصالحهم قاعدة لدفاع اليهود عن مصالحهم وكانوا تجهد فى تأسيس محافل لها فى أكثر المدن المهمة فى العالم ويحاول ضم الكفرين والعلماء والأدباء والسياسيين غير اليهود فى جميع أحاء العالم إلى عضويتها ويستخدمون شعارات الحرية والأخوه والمساواة كدعاية لجذب أصحاب الرأى إليها فى جميع أنحاء العالم الحرية والأخوة والمساواة فى جميع أنحاء العالم لجذب أصحاب الرأى إليها، ولهذا السبب وعن هذا السبيل فإن اليهود الآن أصبح لهم ظهور واضح مرة أخرى على الساحة العالمية. ويذكر الشيخ أبو زهرة فى النهاية أنه عندما وجد أن البقاء فى هذه المنظمة غير مفيد اعتزلها فى سنة ١٩٥١م/ ١٣٣٠هـ س(٩٧) وعلى أى حال، وكما ذكر من قبل فإن مسيرة الماسونية فى عهد حكومة عبد الناصر لم تستمر فى مصر. ففى شهر إبريل سنة ١٩٦٤م/ ١٣٤٣هـ س أصدرت الحكومة المصرية أمراً بإغلاق جميع المحافل الماسونية. وفى الثالث من يونيو من نفس العام ذكرت مجلة آخر ساعة القاهرية فى مقالة لها سبب إغلاق «المحفل الأكبر» بأن هذا المحفل كان مصراً على إخفاء أعماله ووثائقه والحفاظ عليها فى سرية تامة»: ولهذا السبب كان يغض الطرف عن القانون الخاص بالمحافل والذى يعطى الحق لرجال الشرطة فى تفتيش كل محفل. ثم تضيف آخر ساعة وإن هذا ليس هو السبب الوحيد لحل المحافل الماسونية لأنه اعتبر إغلاقها من المسائل الأمنية للدولة، وخاصة أن الصهيونية كانت تضع فى اعتبارها أن تستفيد لصالحها من المحافل الماسونية والطبيعة السرية لأنشطتها(٩٨).

الماسونية تحت ستار الروتارى:

على الرغم من أن الماسونية فى مصر توقفت عن ممارسة نشاطها منذ عام ١٩٦٤م/ ١٣٤٣هـ لكن أندية الروتارى التى تساوى مجال نشاطها وأهدافها فى كثير من المجالات مع نشاط وأهداف الماسون وجدت لها فى هذه البلاد حياة جديدة وذلك لأنه يبدو أنه فى كل مكان تتوقف فيه الماسونية عن مزاولة نشاطها تبدأ منظمات أخرى مشابهة لها مثل الروتارى ونادى الليونز فى ممارسة نشاطها. وقد ظهر نادى الروتارى فى مصر لأول مرة فى سنة ١٩٢٩م/ ١٣٠٨هـ س (أو ١٩٣١/ ١٣١٠هـ س) ومن أجل نشاط أندية الروتارى ظهر تقسيم خاص لمناطق وضع جزءً من العالم العربى ومنه مصر والسودان فى منطقة واحدة وكانت تعرف برقم ١٩٥(٩٩).

وطبقاً لما كتبه الكثير من كبار المسئولين عن الروتارى الدولى فإن أحد خصائص روتارى القاهرة فى مصر هو أن أعضاءه يتشكلون من قوميات وأجناس مختلفة(١٠٠). وقد كتب الدكتور عبد الحليم عويس أن عبد العظيم فهمى وزير الداخلية المصرى أمر بإغلاق أندية الروتارى فى مصر ولكن بعد أن تمت إقالته من الوزارة استطاع التابعون للروتارى استئناف نشاطهم(١٠١) ولأن النشاط الماسونى أصبح من الصعوبة بمكان فى مصر فإن الماسون المصريين حاولوا أن يتابعوا أهدافهم تحت ستار الروتارى.

ويجب أن نذكر أن مسيرة الأحداث كانت تتطور بهذا الأسلوب لأنه بعد إغلاق المحافل الماسونية فى مصر بست سنوات أصبح أنور السادات رئيساً لمصر وثيقا فشياً بعد طريقه عن خط مسيرة وأهداف جمال عبد الناصر والمصريين وباقى شعوب العالم العربى وفى أواخر أيام سنة ١٩٧٧م قام بزيارته إلى إسرائيل ومدير الصداقة للنظام الصهيونى. وقد كان أنور السادات نفسه ماسونياً لفترة. وطبقاً لما كتبه حنا راشد فى الجزء الأول من دائرة المعارف الماسونية فإن المحفل السورى العربى الأكبر كان قد اختار أنور السادات فى تاريخ ٢١ فبراير ١٩٥٨م/ ١٣٣٦هـ ش كأستاذ أعظم فخرى لهذا المحفل الماسونى(١٠٢). ولهذا فلن يكون مثيراً للعجب أن نجد النشاط الماسونى مرة أخرى فى المجتمع المصرى – ولكن فى هذه المرة وراء وجه الروتارى.

وعلى أي حال فإن عدداً من الماسون قد التقوا بممدوح سالم رئيس الوزراء المصرى فى مكتبة ثم أعلنوا على الملأ أن مؤتمراً فى مجال أندية الروتارى سوف يتم عقده. وفى تاريخ ٣١ مارس ١٩٧٨م/ ١٣٥٧هـ ش أى بعد الزيارة الرسمية الأولى للسادات لإسرائيل كتبت جريدة الأهرام أن مؤتمر الروتارى لمنطقة الشرق الأوسط سوف يبدأ فى الإسكندرية تحت رعاية أنور السادات رئيس الجمهورية، وأن ممدوح سالم رئيس الوزراء سوف يحضر الجلسة الافتتاحية لهذا المؤتمر وسوف يشارك فى هذا المؤتمر حوالى ٣٠٠ شخص من العرب أعضاء أندية الروتارى ثم أعلنت هذه الجريدة فى تاريخ ٦ أبريل ١٩٧٨م/ ١٣٥٧هـ ش على الجميع أنه من المقرر أن يفتتح عبد التواب هديب محافظ الإسكندريّة فى نفس اليوم مؤتمراً للروتارى نيابة عن أنور السادات رئيس الروتاري وأن ممثلين عن أندية الروتارى فى مصر والسودان والبحرين والإردن ولبنان سوف يشاركون فى هذا المؤتمر وأن ممدوح سالم وممثل عن الروتارى العالمى سوف يحضران هذه الجلسة أيضا(١٠٣).

ويرى كثير من أصحاب الرأى أن القيام بنشاط ما فى سبيل تحقيق أهداف الصهيونية والمساعدة على إقرار السلام والمصالحة بين إسرائيل وباقى دول منطقة الشرق الأوسط يعتبر من أهداف ومطالب الروتارى العالمى. ولهذا السبب فإن أندية الروتارى فى إسرائيل لها نشاط واسع وفعال وفى يوم ١٣ مايو ١٩٦٤م/ ١٣٤٣هـ ش أقدم ممثلو ومندوبو أندية الروتارى العالمية على عقد مؤتمر فى إسرائيل أشادوا فيه بالحكومة الإسرائيلية وقرروا فى نفس المؤتمر

اعطاء منح دراسية لعدد من الطلبة الإسرائيليين(١٠٤). وقد كتب حسين عمر حماده فى سنة ١٩٨٢م/ ١٣٦١هـ أن أربعين نادياً ٤٠ نادى من أندية الروتارى تمارس نشاطها بتوسع فى إسرائيل وتضم هذه الأندية فى مجموعها ما يقرب من من ألفين عضواً. وأن نادى الروتارى الذى تأسس فى حيفا وعكا والناصرة قد قبل فى عضويته خليطاً من الأعضاء العرب واليهود. وفى كل نادى من أندية الروتارى الإسرائيلية يوجد قسم خاص مهمته نشر التفاهم والتطبيع بين العرب واليهود فى إسرائيل(١٠٥). ويذكر هذا الكاتب أيضاً واضعاً فى اعتباره سمات الروتارى العالمى ونشاطه الخاص فى إسرائيل والعلاقة الوثيقة بين أنور السادات والروتارى وإسرائيل يذكر أنه فى هذا السبيل نفسه قام رئيس العلاقات التعليمية فى وزارة الخارجية الإسرائيلية بزيارة لمصر فى سنة ١٩٨١م/ ١٣٦٠هـ ش حتى يمهد لتبادل زيارات شبابية بين مصر وإسرائيل، وفى هذا المجال اتفق على أن يقضى أول جماعة من الشباب الإسرائيلى والذين يبلغ عددهم خمسين طالباً عطلتهم الصيفية بين أسر عربية مصرية وفى المقابل يقوم نفس العدد من الطلبة المصريين بقضاء عطلتهم الصيفية كلها بين أسر يهودية(١٠٦).

وهكذا يبدو أن نشاط الروتارى فى مصر فى عهد أنور السادات أخذ يحقق انتشاراً أكثر يوماً بعد يوم وكانت هناك مجلة خاصة بالروتارى تصدر فى القاهرة باللغات الثلاثة العربية والإنجليزية والفرنسية تحت اسم «مجلة الروتارى» وتقوم بالإعلان عن البرامج والأنشطة الواسعة للمنتمين إلى أندية الروتارى وأمام الجميع(١٠٧). كما تأسس فى جنوب القاهرة نادى روتارى خاص للسيدات أيضاً وتم منح جيهان السادات زوجة أنور السادات نوط الجدارة فى سبيل تصحيح أهداف الروتارى بوُصفها سيدة مصر الأولى وأيضا بوصفها السيدة الأولى للروتارى فى المنطقة رقم ١٩٥ وكان ذلك نتيجة لجهود السيد كامل بدوى رئيس هذه المنطقة(١٠٨). وقد جذب نشاط أندية الروتارى أيضاً عدداً من كبار رجال الدين إليه فقد كتبت مجلة الروتارى فى عددها الصادر فى يناير ١٩٧٣م/ ١٣٥٢هـ ش وفى الجزء المكتوب باللغة العربية أن نادى روتارى الإسكندرية قد وجه الدعوة لفضيلة الأستاذ الأكبر الدكتور/ محمد محمد الفحام شيخ الأزهر لحضور إحدى جلساته فى شهر رمضان وتحدث شيخ الأزهر فى هذا النادى عن فضائل الإسلام والوحدة الوطنية واعتبر نادى روتارى الإسكندرية أن حضور شيخ الأزهر لهذه الجلسة حدثاً مهماً ومدعاة للفخر(١٠٩).

١- Landou, «Secret societies in Egypt», PP. ١٣٧, ١٦٧-١٦٢.
٢- نفس المرجع، ص١٣٩.
٣- R.F. Could, Gould>s History of Freemasonry, revised, edited, and brought up to date by Herbert Poole (London, ١٩٥٩), vol. IV, P. ٣٣.
٤- زيدان، تاريخ الماسونية، ص١٦٤-١٦٥.
٥- Safwat, Freemasonry in the Arab World, P. ١١.
٦- زيدان، تاريخ الماسونية، ص١٦٥.
٧- Gould, Freemasonry, Vol. IV, P. ٣٣.
٨- Landau, «Secret Societies in Egypt», PP. ١٣٩, ١٧٤.
٩- زيدان، تاريخ الماسونية، ص١٦٥-١٦٦.
١٠- نفس المرجع، ص١٦٥-١٦٧.
١١- نفسه، ص١٨١ وما بعدها.
١٢- Gould, Freemasonry, vol. IV, P. ٣٣.
١٣- Landau, «Secret Societies in Egypt», PP. ١٣٩-١٤٧.
١٤- المرجع السابق، ص١٤١ وما بعدها.
١٥- نفسه، ص١٤٧-١٤٩.
١٦- Gould, Freemasonry, Vol. IV, P. ٣٤.
١٧- Landau, «Secret Societies in Egypt», P. ١٤٩.
١٨- لمعلومات أكثر حول هذا الموضوع انظر: اصغر مهدوى وايرج افشار، مجموعه اسناد ومدارك چاپ نشده درباره‌ء سيد جمال الدين اسد آبادى مشهور به افغانى (تهران، ١٣٤٢هـ س)؛ صفات الله جمال أسد آبادى، إسناد ومدارك درباره‌ء سيد جمال الدين أسد آبادى (رقم ١٣٤٩ هـ س)، سيد جمال الدين أسد آبادى [مشهور به افغانى]، مقالات جماليه (تهران ١٣٥٨هـ ش)، ص٥-٢٤؛ ميرزا لطف الله اسد آبادى، شرح حال وآثار سيد جمال الدين اسد آبادى (قم، ١٣٤٩ هـ ش)؛ Homa Pakdaman, D>jamal-Ed-Din Assad Abadi dit Afghani (Paris, ١٩٦٩)
١٩- على سبيل المثال انظر: بيليوجرافيا وصفية حول سيد جمال الدين تحت عنوان:
٢٠- Landau, «Secret Societies in Egypt», P. ١٤٢.
رائين، فراموشخانه، جلديكم، ص٣٥٩ به بعد.
٢١- على سبيل المثال انظر: حسين عبد اللهى خوروش، سيد جمال الدين اسد آبادى درسا زمان فراماسونرى (تهران، ١٣٥٨ هـ ش)
٢٢- على سبيل المثال انظر: رائين، فراموشخانه جلديكم، ص٣٥٩-٤٢٢.
٢٣- يذكر آلبرت عبد الله قدس زاده الذى قام بأبحاث واسعة حول سيد جمال الدين وحصل على رسالته فى الدكتوراه فى سنة ١٩٦٨م/ ١٣٤٧هـ ش من جامعة ايندياناً الأمريكية (Indiana University) فى نفس الموضوع – أن جميع المؤلفات التى كتبت فى عصر سيد جمال الدين والتى كان على علم بها وأطلع عليها كلها عدا مصدر واحد أن سيد جمال الدين كان يقوم بتدريس الفلسفة فى

جامعة الأزهر، ولأن العلماء المحافظين لم يقبلوا الموضوعات القائمة على أساس الفكر والاستدلال وأفكار سيد جمال الدين الاصلاحية دفعوا جمال الدين إلى اعتزال التدريس فى الأزهر ولكنه استمر فى تدريسه لتلامذته فى بيته. ويقول رشيد رضا نقلا عن تصريح للشيخ محمد عبده أن سيد جمال الدين كان يذهب إلى الأزهر للزيارة فى أيام الجمع ولم يتوجه هناك كمعلم ولو لمرة واحدة؛ انظر:

A. Albert Kudsi-Zadeh, «Afghani and Freemasonry in Egypt», Journal of the American Oriental Society, ٢٢ (١٩٧٢), ٢٥.

٢٤- مهدوى وافشار، مجموعة اسناد ومدارك، تصوير ٤٠.

٢٥- نفس المرجع، ص٢٤-٢٥.

٢٦- ذكر مهدوى وافشار فى صفحة ٢٤ من كتابهما «مجموعهء اسناد ومدارك» أن تاريخ هذه الرسالة هو السابع من يونيو وهذا التاريخ لا يبدو صحيحا والتاريخ الصحيح هو السابع من شهر يناير الذى يسمى فى اللغة الإيطالية «Gennais» وقد وردت هذه الكلمة فى الرسالة العربية لمحفل «كوكب الشرق» برسم «جنايو» انظر:

Kudsi-Zadeh, «Afghani and Freemasonry», P. ٢٧.

٢٧- مهدوى وافشار، مجموعه اسناد ومدارك، تصوير ٤١. وتوجد نسخة من دستور محفل «كوكب الشرق» باللغة العربية محفوظة فى مكتبة «المحفل الإنجليزى الأعظم» فى قاعة الماسون بلندن، انظر:

John A. Haywood, Modern Arabic Literature ١٨٠٠-١٩٧٠: An Introduction, with Extracts in Translation (London, ١٩٧١), P. ١٢٢.

٢٨- Kudsi-Zadeh, «Afghani and Freemasonry», P. ٢٦.

٢٩- «Idem, «Salim Anhuri (١٨٥٦-١٩٣٣): Journalist, Poet, and Social Critic, in Essays on Islamic Civilization Presented to Niyazi Berkes, edited by Donald P. Little (Leiden, ١٩٧٦), PP. ١٧٩-١٨٩.

٣٠- Nikki R. Keddie, Sayyid Jamal al – Din «al-Afhani»: A Political Biography (Berkeley, California, ١٩٧٢), PP. ١٠١-١٠٧.

٣١- Safwat, Freemasonry in the Arab World, P. ١٢.

نجدة فتحى صفوة، أوراق عربية، رقم ٤: الماسونية فى الوطن العربى (لندن، ١٩٨٠)، ص٢٤.

٣٢- Wilfrid Scawen Blunt, Secret History of the English Occupation of Egypt Being a personal narrative of events (London, ١٩٦٩), PP. ٤٨٤-٤٨٩.

٣٣- Keddie, Jamal al Din «al-Afghani», P. ١٠٠.

٣٤- محمد باشا مخزومى، خاطرات سيد جمال الدين اسد آبادى معروف به افغانى، ترجمة مرتضى مدرسى جهاردهى (تبريز ١٣٢٨ خورشيدى)، جلديكم، ص ٣٧-٣٨.

٣٥- نفس المرجع، ص٣٨-٣٩.

٣٦- حائرى، تشيع ومشروطيت درايران، ص٧٢-٧٥.

٣٧- سيد محمد رشيد رضا: «تتمة ملخص سيرة الأستاذ الإمام: دخوله فى الماسونية من التمهيد»، المنار، المجلد ٨ (أغسطس ١٩٠٥م)، ص٤٠٢-٤٠٣.

٣٨- Kudsi-Zadeh, «Afghani and Freemasonry», P. ٢٨.

٣٩- Blunt, Occupation of Egypt, P. ٤٩١.

٤٠- Keddie, Jamal al- Din «al-Afghani», PP. ١٢١-١٢٢; Elie Kedourie, Afghani and Abduh: An Essay on Religions Unbelief and Political Activism in Modern Islam (London, ١٩٦٦), P. ٢٠.

٤١- Kudsi-Zadeh, «Afghani and Freemasonry», P. ٣٠.

١- نفس المرجع؛ ص ٣٠؛ رشيد رضا، «ملخص سيرة الأستاذ»، صـ ٤٠١-٤٠٢.

٤٢- نفسه، صـ ٤٠١.

٤٣- Kudsi-zadeh «Af ghani and Freemasonary», p. ٣٠.

٤٤- مخرومى، خاطرات سيد جمال، ص٤١.

٤٥- أحمد أمين، زعماء الإصلاح فى العصر الحديث (بيروت، بدون تاريخ)، ص٧٦.

٤٦- مهدوى وافشار، مجموعهء اسناد ومدارك، تصوير ٣٢.

٤٧- «فقد كنت وليا لمن والاه وعدوا لمن عاداه».

٤٨- مهدوى وافشار، مجموعهء اسناد ومدارك، لوحة ١٣-١٥، تصوير ٣٤-٣٧ لمعلومات أكثر حول هذا الجانب من النشاط الماسونى لسيد جمال الدين انظر:
Keddie, Jamal al-Din «al-Aghani», PP. ٩٨ ff., ١٨٨ ff., ٤٣٤ ff.

٤٩- Ibid, P ٥٨. ff.; Berkes, Secularime in Turkey, P. ١٨٢.

٥٠- مهدوى وافشار، مجموعهء اسناد ومدارك، ص١٤٤-١٤٦.

٥١- Keddie, Jamal al-Din «al-Afghani», P. ١٩١.

وللاطلاع على النص الفارسى لهذه الرسالة انظر: على اصغر حلبى زندكى وسفرهاى سيد جمال الدين اسد آبادى (تهران، ١٣٥٦هـ س) ملاحق بنهاية الكتاب، ص٣١. وهذه الملاحق تضم مقالة ارنست رينان ورد جمال الدين الذى قام بترجمته إلى الفارسية سيد محمد على جمال زاده.

٥٢- Keddie, Jamal al-din «al-afghani».

لمراجعة النص الفراسى لهذه المقالة للسيد جمال الدين انظر: على اصغر حلبى، زندكى وسفرهاى سيد جمال الدين اسد آبادى (تهران، ٣٥٦ أخور رشيدى) ملحق بنهاية الكتاب، صـ ١ : ٣١. هذا الملحق يحتوى على مقالة ارنست رينان ورد السيد جمال الدين، وقد ترجمت إلى الفارسية بمعرفة سيد محمد على جمالزاده.

٥٣- لمراجعة حديث الدكتور محمد عنايت انظر: سيرى دراند يشه سياسى عرب ازحملة نابليون به مصرتا جنگ جهانى دوم (تهران، ١٣٥٦ خورشيدى) ص ١٠٤ وما بعدها. ولمراجعة حديث الدكتور كريم مجتهدى انظر: سيد جمال اسد آبادى وتفكر جديد (تهران، ١٣٦٣ خورشيدى)، صـ ٥١-٩٨.

٥٤- لمعلومات أكثر حول مواضع خلل متعددة فى حديث نيكى كيدى حول سيد جمال الدين انظر: عبد الهادى حائرى «سيد جمال الدين أسد آبادى ومسألة عقب ماندكى در جامعة هاى إسلامى»، آينده، ٥، شمار ١٠٥-١٢ (١٣٥٨ خورشيدى) صـ ٣٣ - ٧٢٦ و٥٦ شمارهء ٢-١ (١٣٥٩ خورشيدى) ٦٥-٧٦.

٥٥- مهدوى وافشاره مجموعة اسناد ومدارك، لوحة ٦٤، تصوير ١٣٧.

٥٦- نفس المرجع، صورة ٤٢-٤٣. يكتب إسماعيل رائين أن السيد جمال الدين بعد هذا التاريخ كان على صلة بالمحافل الماسونية الإنجليزية فى إنجلترا وفى تركيا العثمانية أيضاً، لكنه لا يقول من أين استقى هذه المعلومات، ولهذه لا يمكن الأخذ بهذا القول؛ انظر فراموشخانه، جلديكم، صـ ٣٨٧-٣٨٨.

٥٧- Landan, «Secret Societies in Egypt», pp. ١٤٢-٤٣١.

٥٨- لمعلومات أكثر حول الشيخ محمد عبده انظر: حسينى طباطبائى، شيخ محمد عبده مصلح بزرگ مصر (تهران ١٣٥٧ خورشيدى).

٥٩- Nabil A. ;(١٩٣٣ ,C.C. Adams, Islam and Moderniom in Egypt (London K Houry, «Islam and Modernization in the Middle East: Muhammad Abduh, an Ideology of Development, «Ph. D Dissertation, State university of New York at Albany, ١٩٧٦.

٦٠- عثمان أمين، رائد الفكر المصرى الإمام محمد عبده (القاهرة ١٩٦٥م)، ص ٤٠.

٦١- رشيد رضا «ملخص سيرة الأستاذ)، صـ ٤١٦.

٦٢- Kudsi zadeh, «Afghan ;١٧٦ .Landan, «Secret Socleties in Egypt», P and Freen asonry», p. ٣٢.

٦٣- صفوة الماسونية، صـ ٣٠.

٦٤- رشيد رضا، «ملخص سيرة الأستاذ»، صـ ٤٠٢.

٦٥- نفس المرجع، صـ ٤٠٣.

٦٦- عمر حسين حمادة، شهادات الماسونية (دمشق، ١٩٨٣)، صـ ٨٣-٨٤.

٦٧- Kudsi-Zadeh, «Afghni and Freen Asonary», p. ٢٨.

٦٨- الفيكونت فيليب دى طرازى، تاريخ الصحافة العربية (بيروت ١٩١٣) المجلد الثانى، صـ ٢٨١ وما بعدها.

٦٩- EI٢ ,(Vol. IC١٩٦٧-J. M. Landan, «Alu Naddara» pp. ١٤١-١٤٢.

٧٠- Keddie, Janal al-din «al-Afghani», p.p .١٨٤-١٨٥.

٧١- طرازى، تاريخ الصحافة العربية، المجلد الثانى، صـ ٢٨٣.

٧٢- Landau, «Secret Societies in Egypt», p .١٥٥.

٧٣- طرازى، تاريخ الصحافة العربية (بيروت، ١٩١٤)، المجلد الثالث، صـ ٥٦-٥٧.

٧٤- نفس المرجع، المجلد الثانى، صـ ١٠٥ وما بعدها.

٧٥- EI٢ ,U.Rijjitano, «Ishak, Adib», (١٩٧٨ Vol. IVL ,p.p ١١١-١٢١.

٧٦- Keddie, Janal al-din «Al-afghani», p .١١٦.

٧٧- «اجتمعوا على القيام بإعلاء كلمة السيد والنداء بما كان ينادى»؛ انظر: مهدوى وإفشار، مجموعة اسناد ومدارك، صورة ١٠٨.

٧٨- صفوة الماسونية، صـ ٣٠.

٧٩- Landau» Secret ,٢٧ .Kudsi-Zadeh, «Afglani and Freem asonary», p .١٤٣, ١٧٧ .Societies in Egypt», p.p

٨٠- Blunt, Occupation of Egypt, p.p .٩٣٩-٩٨٩.

٨١- Kudsi, Zadeh, «Afghani and freemasonary, p .٣٢.

٨٢- أمين؛ الإمام محمد عبده، صـ ٤٠.

٨٣- Kudsi-Zadeh, «Afoshani and Freemasonary, p .٣٢.

٨٤- EI٢ ,E.K edourie, «Hizb», vol. III (١٩٧١), p.p .٥١٩-٢٦.

تم نقل هذه المقالة حديثاً إلى الفارسية بهذه البيانات: جواد شيخ الإسلامى (مترجم)، أحزاب دركشورهاى إسلامى (تهران ١٣٦٦ خورشيدى)، صـ ١١-٨٣.

٨٥- لمزيد من الاطلاع حول هذه الثورة انظر: لوتسكى، تاريخ عرب درقرون جديد، صـ ٣٢٢

وما بعدها؛
A Political History :١٩٢٢-١٥١٦ P.M. Holt, Egypt and the fertile crescent (Ithaca, N.Y.,(١٩٦٦), p. ٢١١ FF.
٨٦- انظر إلى الفصل الثانى من نفس الكتاب قسم «فراماسونكرى، نهادى ازتمدن دوروية بورزوازوى غرب».
٨٧- لمعلومات حول ثورة المهدى السودانى ودور كيتشنر انظر: لوتسكى، تاريخ عرب درقرون جديد، صـ ٣٧٦-٣٩٥؛ بى. أم. هالت وأم. دبليو دبلى، تاريخ سودان بعد از اسلام، ترجمة محمد تقى الكبرى (مشهد ١٣٦٦ خورشيدى)، صـ ٩٥-١٣٨.
٨٨- Gould, Freeemasonary, vol. IV, p.p. ٣٣-٣٤.
٨٩- عنايت، سيرى دراند يشهٔ عرب، صـ ١٢٠.
٩٠- للاطلاع حول رؤية عرابى باشا ووجهات نظره ومذكراته انظر:
١. Blunt, Qccupation of Egypt, Appendix
٩١- Gould, Freemasonary, Vol. IV
٩٢- Kedourie, Young Turks, Freemasons, and Jews, p. ٩٧.
٩٣- رائين، فراموشخانه، جلدوم، صـ ٣٧٥-٣٧٩.
٩٤- لمعلومات أكثر حول التنظيمات الماسونية فى مصر انظر: الوردى، لمحات اجتماعية، المجلد الثالث، صـ ٣٦٥-٣٦٦، صفوة، الماسونية، صـ ٢٤-٢٥؛
Sagwat, Freenasonary in the Arabe World, p.p. ١٢-١٣.
٩٥- الوردى، لمحات اجتماعية، المجلد الثالث، صـ ٣٦٦-٣٦٨، صفوة، الماسونية، صـ ٢٥-٢٨؛
Safwat, Freenasonary in the Aral World, p. ١٩.
٩٦- حمادة، شهادات ماسونية، صـ ٦٠-٦٣.
٩٧- صفوة، الماسونية، صـ ٢٨-٢٩؛
Safwat, Freenasonary in the Arab World, p. ١٩.
٩٨- حسين عمر حمادة، الروتارية والروتاريون وحتمية انهيار الحركات السرية الدولية الهدامة (دشمق، ١٩٨٢)، صـ ١٦.
٩٩- George R. Means and Chesley R. Perry, «Rotary Club»-Eb, Vol. ١٩ (١٩٦١), p.p. ٥٦٩-٥٧٠.
١٠٠- حمادة، شهادات ماسونية، صـ ١٢.
١٠١- نفس المرجع، صـ ١٢٥.
١٠٢- نفس المرجع، صـ ١٢، ١٤؛ وانظر لنفس المؤلف، الروتارية والروتاريون، صـ ١٨٧-١٨٨.
١٠٣- حمادة، شهادات ماسونية، صـ ١٢٧.
١٠٤- نفس المؤلف، الروتارية والروتاريون، صـ ١٦-١٧.
١٠٥- نفس المرجع، صـ ٨٨-٩٠.
١٠٦- نفسه، صـ ١١١.
١٠٧- نفسه، صـ ١٥٨-١٦٢.
١٠٨- نفسه، صـ ١٤٠ وما بعدها.